

مسند الأقبال

د.علي البكالي



1ክፍል 1ክፍል | 1ክፍል 1ክፍል

مسند الأقبالي

قراءة في مسوغات القومية اليمنية

د. علي البكالي

منظمة بوكس يمن / اليمن تعز

رقم الإيداع بالمكتبة العامة مأرب (٢٠٢٣ / ١٠)

رقم التصنيف العام (٣٢٠,٥٤٠,٥٣٢)

الطبعة الأولى / ٢٠٢٣ م



فهرس

5.....	مقدمة
٦.....	استهلال شعري
٩.....	الفصل الأول: التعريف بالقومية اليمنية والأقيال
٣٠.....	الفصل الثاني: الوجود القومي والشخصية التاريخية
٤٠.....	الفصل الثالث: حقيقة الاستلاب الحضاري
٧٢.....	الفصل الرابع: القومية اليمنية استراتيجية دفاعية وخطة بعث
٧٩.....	الفصل الخامس: رأي في صميم القومية اليمنية

إهداء

إلى كل من أخذوا بيد الضوء محررين العقل من أغلال الاستلاب
معلنين انبلاج فجر الروح اليمنية المتجددة بإرثها الحضاري المعرفي المتفرد
إلى كل أبناء أمتنا اليمنية العظيمة في ميلادها القومي المعاصر

مقدمة

هذا الكتاب على صغر حجمه رسالة فلسفية تاريخية لرسم معالم خطة معرفية لكسر أغلال الثقافة الاستلابية، وفتح أبواب الإدراك المعرفي أمام حالات التجريف التاريخي الممنهج للهوية والذات والمستند الحضاري، التجريف الذي لحق بالأمة اليمنية طوال ما يربو على ١٥٠٠ عام من عمر التراجع والانكسار، وهو -أيضا- كشاف ذاتي للتعرف على جوانب الشخصية المنكسرة وإشكالاتها النفسية والاجتماعية، بغية الاستشفاء من داء الانكسار وتحرير الوعي القومي من شوائب التخلف وموروثات الاستلاب بكل أشكالها السلالية والعنصرية والتراثية، على طريق خطة بعث تنطلق من إقامة الذات أولاً من خلال إعادة انتاج نماذجها المعرفية والفكرية المستقلة، كدليل ابداع ورصيد تجربة ومصاديق حضارة، تمكنها من التحرر ورفض الانكسار وسلوك مسلك التمرد وهجر الخمول والاستسلام ، وتبعث فيها القدرة على التعرف على الآخر المختلف، والاستفادة من تجاربه وابداعاته في حدود الحاجة والبيئة.

وهي كذلك شعاع كاشف لمسار الوعي القومي وأبجدياته في أنساق المعرفة بالذات، بالاستناد إلى الروح التاريخية والهوية الحضارية. إنها رؤية البعث القومي لاستنهاض الروح الجمعية للأمة اليمنية وإزالة أثقال التخلف والانكسار وتحطيم أغلال الاستلاب والاستعباد، والانطلاق نحو بناء الذات القومية اليمنية المتكئة بدرجة رئيسة على الاعتزاز بالإنسان اليمني وحضارته وابداعاته، المؤمنة بقدرة الأجيال الجديدة أن تطاول شموخ الأجداد، وأن تتقفى أثرهم في الابداع الحضاري بروح العصر وأدواته، تحقيقاً للوجود القومي المعاصر للأمة اليمنية.

استهلال شعري

لأن هذا الكتاب سهم فكري فسلفة الاستلاب والذات وجدت من الأجدى أن أصدره بنص شعري رمزي للشاعر ياسين محمد البكالي لخصت أبياته بعض مضامين هذا الكتاب.

رائي يَخْرُجُ عن طوره
وكدتُ أن أنسى كلامي على فمي
غداة رأيتُ اسمي على الآءِ يَرْتَمِي
بعيدونَ يا أحبابُ عني وبيننا
من الحزنِ تأريخُ غدا محضَ أبكمِ
كأني بريئاً صرتُ مِنِّي وَهُمَّتِي
وُقوفِي على نصِّ جرى في كالدِم
وكنْتُ على بابِ الأسي نارَ غُربةٍ
تَهْمَشُ على أمواهِ جيشِ عَرْمَرِمِ
يُطَاطِئُ للمنفي رؤوساً كثيرةً
ليَخْرُجَ للدُّنيا برأسِ مُعَمَّمِ
بِضاعةٍ من هذي؟ وأحنتُ قرونها
بلادُ بلا رأسٍ لشعبٍ بلا سَمِي
يُوسوسُ في الصلصالِ من قبلِ نشأةٍ
حطيمُ الخطايا قبلِ ميلادِ زمزمِ
ويَسحبُ من بالِ الحكاياتِ وجهه
إلهٌ قديمٌ مُوغِلٌ في التقدُّمِ
سَيَرَبِحُ عُكَّازينَ يا فرطَ ما جنى

مُعَاقُ حَضَارِيٍّ تَعَصَّى بِمُسْلِمٍ
أُدْحِرْجُ خِيَابِي الطَّوَالَ وَكُلَّمَا
أَشَاوَرُهَا فِي الْأَمْرِ عَضَّتْ عَلَيَّ فَمِي
وَكَمْ أَوْقَفْتَنِي دَمْعَةً وَابْتِسَامَةً
وَبَيْنَهُمَا لَمْ أَلْقَ حَتَّى تَبَسُّمِي
وَلَكِنِّي وَالْحَالُ لِيَصُّ يَسْتَوْفُنَا
إِلَى جَنَّةٍ لَمْ أَلْقَ غَيْرَ جَهَنَّمَ
تُفَاجِئُنِي الْأَيَّامُ بِالْعَجْزِ لَيْتَهَا
تُفَاجِئُنِي بِالمَوْتِ قَبْلَ التَّوَهُّمِ
وَتُغْمِضُ عَيْنِي الرِّزَايَا وَإِنَّمَا
الحَيَاةُ بِلا رُؤْيَا جَحِيمٍ عَلَى العَمِي
وَلَسْتُ كَكُلِّ النَّاسِ دَرَسًا فَحَصَّتِي
إِلَى الْآنِ لَا تُعْطَى لِأَيِّ مُتْرَجِمٍ
أَحْوَمُ مَجَازًا فِي الشَّبَابِيكِ كَالَّذِي
رَأَى أَمَلًا يَأْتِيهِ بَعْدَ التَّنَدُّمِ
إِلَى حَيْرَةٍ كُتِلُ العِلَاقَاتِ تَنْتَهِي
وَنَحْنُ بِغَرْبَالِ الصَّدَاقَاتِ نَحْتَمِي
فَلَمْ يَنْصِفِ المِحْتَلُّ إِلَّا كَيَانَهُ
وَلَمْ يَشْرَبِ الطُّوفَانُ إِلَّا مِنَ الظَّمِي
وَلَمْ يَقِفِ المِظْلُومُ إِلَّا وَقَوْمَهُ
يَتَامَى يَرُونَ الحَقَّ فِي زِيٍّ مَجْرَمٍ
مَآلَاتُنَا فِي رَغْوَةِ الوَقْتِ جَمْرَةٌ
لِإِطْفَائِهَا يَسْعَى فَصِيحٌ وَأَعْجَمِي
وَمَا أَخْتَنِقُ الزَّلْزَالَ إِلَّا بِهَرَّةٍ
سَتَرْتُكَ نَحْبَ المَصِيرِ المِحْتَمِّ

حنانك يا تية البطولاتِ رُبما
على البدءِ أن ينسى انزيحاتِ محتَمي
نُعسكرُ في اللاشيءِ حتّى كأننا
تلاميذُ صَفِّ صَفَّقوا للمُعَلِّمِ
فأمسكْ بالطبشورِ كي يُسقطَ العصا
وقالَ أنا الدينارُ يا كُلَّ درهمِ
لأنَّكَ خلفَ الريحِ تصطكُ بالأسى
فقوسُكَ مُحْتَاجٌ كثيراً لأسهُمِ
عليكَ بأن تصغي لدرويشكَ الذي
يقولُ إذا شاهدتهُ جاءَ توأمي
ياسينُ محمدُ أحمدُ سعدُ البكالي

الفصل الأول التعريف بالقومية اليمنية أقبال

تعريف القومية اليمنية

القومية اليمنية هي الروح التاريخية الجامعة للأمة اليمنية، التي حققت لها وجوداً حضارياً فاعلاً كأمة مستقلة بين الأمم المتحضرة في التاريخ القديم، ومتفردة جمعت بين روح الحضارة وروح الرسالات السماوية بما فيها رسالة الإسلام الخاتمة.

والأمة اليمنية هي أصل الأمة العربية ومنبعها فكل العرب شعوباً وقبائل تفرعت من الأمة اليمنية الأولى قوم عاد ثم قوم قحطان ثم قوم سبأ والتبابعة، والعرب تقول من ليس يمني فليس بعربي، ذلك أن العرب القدامى قبل الميلاد بألاف السنين انسلوا من جزيرة العرب سواء في صورة هجرات قبلية أو في صورة توسع سياسي لدولة قحطان ويعرب وسبأ الأولى ما قبل التدوين التاريخي، وامبراطورية التبابعة، وكل المؤرخين العرب القدامى يعترفون بهذه الحقيقة عدا بعض الباحثين المتأخرين الذين تأثروا إما بالعامل السياسي نتيجة تحلف اليمن في العصر الحديث تحت سلطة الإمامة الكهنوتية والاستعمار البريطاني، أو نتيجة عدم الإلمام بالنقوش والأثار اليمنية القديمة والتي لا يزال ٨٠٪ منها غير مكتشف حتى اللحظة.

والقومية اليمنية ليست ظاهرة حديثة من نتاج صراعات أيديولوجيا العصر الحديث كما في أوروبا أو الظاهرة القومية البعثية في البلاد العربية، بل هي امتداد تاريخي طبيعي للحضارة اليمنية الأولى في لحظة التكوين التاريخي الأول، وهي اللحظة التي وصفها القرآن الكريم ب(قوم تبع)، وقوم تبع تعني الحضارة الإمبراطورية التي يحكمها نظام سياسي راسخ يتتابع فيه الملوك بسلالة، وهذا ما يؤكد المؤرخ والفيلسوف العربي مؤسس علم الاجتماع العلامة ابن خلدون، حيث يحكي أن حضارة اليمن القديم تمتعت بخاصية فريدة في نظامها السياسي لم تكن موجودة في مثيلاتها من حضارات الشرق الأدنى القديم قاطبة هي خاصية النظام الديمقراطي فالملك الأعلى يتم اختياره عبر مجلسين يمثلان الأقاليم والشعب هما مجلس الأذواء المئامنة، وهم ملوك الأقاليم، ومجلس الأقبال الثمانين وهم نواب الشعب وممثلوه قال ابن خلدون: كان التبابعة ملوكاً في عدة عصور متعاقبة وأحقاب متطاولة لم يضبطهم الحصر،

ولا تقيدت منهم الشوارد، وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن إلى ما بعد عنهم من العراق والمغرب والهند تارة، ويقصرون على يمنهم تارة أخرى^(١).

وترمز كلمة تبع في المعجم السبئي للإمبراطور الأعلى للدولة، قال السهيلي: معنى تبع الملك المتبع والتبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع لأنهم يتبع بعضهم بعضاً، كلما هلك ملك قام آخر تابعاً له في سيرته وهي من التتابع حيث يحكي المؤرخون اليمنيون تتابع ألف ملك متوج على عرش امبراطورية سبأ وحمير حكموا الجزيرة العربية كلها، وامتد نفوذهم في بعض الأحيان إلى خارج الجزيرة العربية^(٢)، والأقيال جمع قيل بمعنى صاحب الكلمة، وهم ممثلوا الشعب وعادة ما ينتخب الملك الأعلى من بينهم أو من قبلهم، فإذا ما توج أطلق عليه تبعاً، يقول المؤرخ الفيلسوف نشوان بن سعيد الحميري:

وأقاول حمير قد تولوا بعد عقد للأمر منهم ونقض

ألف ملك سقاهم الدهر كأساً مرة زلزلت بهم كل أرض^(٣)

ومن أبرز ملوك التبابعة الملك التبع الأكبر حارث الرائش وهو المؤسس الأول لإمبراطورية التبابعة، ومن أحفاده الملك النبي العظيم ذي القرنين المذكور في القرآن الكريم، وهو الذي طاف الكرة الأرضية من جنوبها اليمن إلى غربها حيث أمريكا الجنوبية وجزر الكاريبي إلى شرقها إلى شمالها في رحلة استمرت ٢٧ عاماً وثقها نقش عدوليس في اليونان القديمة، وقد وصف القرآن الكريم رحلته بذكر الجهات الثلاث للمسكونة البشرية، أقصى الغرب وأقصى الشرق وأقصى الشمال، وسكت عن الجهة الرابعة لأنها معلومة بالضرورة أن تكون أقصى الجنوب، وليس ثمة حضارة امبراطورية في أقصى الجنوب في ذلك الزمان القديم ما بين بعثة يوسف وموسى سوى امبراطورية التبابعة، حيث يجمع كل المؤرخين العرب القدامى على أن ذي القرنين ملك سبئي حميري، عدا العصر الحديث حيث ظهر من يدعي أن ذي القرنين هو الاسكندر الأكبر أو الملك الفارسي قورش أو اخناتون إلخ، غير أنها ادعاءات لا يسندها أي دليل علمي ولا اركولوجي، وقد دحضها الباحث نفسه بخمسة عشر احتجاجاً ضمنها كتابيه اليمن الهوية والحضارة، وكتاب فلسفة الدولة اليمنية صعوداً وانهاراً وبعثاً^(٤)، وقد عثر مؤخراً على نقش باللغة اليونانية منقول عن المسند الحميري يسمى نقش عدوليس، عثر عليه في اليونان

١- انظر، ابن خلدون العبر ودويان المبتدأ والخبر، ج٢، ص ٧٤، وانظر الفرح، اليمن في تاريخ ابن خلدون، ص ٤٤-٤٥.

٢- انظر محمد الفرح، اليمن في تاريخ بن خلدون، ص ٤٥-٤٦.

٣- انظر نشوان الحميرة السيرة الجامعة، ص ٢١.

٤- علي البكالي، فلسفة الدولة صعوداً وانهاراً وبعثاً، ط ٢٠٢١، مؤسسة يمان للدراسات، ص ٩٥-١١٠.

القديم، ونقله المؤرخ الروماني كاسيوس في القرن الثالث الميلادي إلى اللغة اليونانية في ٣٦ سطرًا (٥)، وسوف نضع النقش وترجمته في ملاحق هذه الرسالة.

ومما يثبت يمنية الملك النبي الصعب ذي القرنين بن ذي مرثد ما أنشده حسان بن ثابت أمام النبي الكريم (ص) في إحدى قصائده التي ذكر فيها بعض ملوك التبابعة، وأقره النبي (ص) على ذلك ولم يعدل عليه كما في قوله:

فَنَحْنُ بَنُو قَحْطَانُ وَالْمَلِكُ وَالْعَلَا

وَمِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ هُوْدُ الْأَحَابِرِ

وَأَدْرِيسُ مَا إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ

وَلَا مِثْلُ ذِي الْقَرْنَيْنِ أَبْنَارِ عَابِرِ

وَصَالِحُ وَالْمَرْحُومُ يُونُسُ بَعْدَمَا

أَلَاتٌ بِهِ حَوْتُ بِأَخْلَبِ زَاخِرِ

شُعَيْبٌ وَإِيَّاسُ وَذُو الْكُفْلِ كُتُّهُمْ

يَمَانُونَ قَدْ فَازُوا بِطَيْبِ السَّرَائِرِ^(٦)

ولكم أن تلاحظوا كيف نسب القرآن الكريم قومية الأمة اليمنية للحضارة في مرحلة التبابعة السبئيين نفسها فقال: ((قوم تبع)) ((لقد كان لسبأ)) ولم يصف القومية لأشخاص أو أنبياء كما فعل في وصف الأقبام الأخرى (قوم نوح - قوم صالح - قوم فرعون - قوم ثمود) وهذا الوصف يشير إلى رسوخ الهوية وثباتها تاريخيا لأزمة طويلة دون تبدل نتج عنها دولة متفردة وحضارة مستقرة.

٥- نقش عدوليس عثر عليه في تسعينات القرن الماضي في اليونان مترجم من المسند إلى اليونانية ضمن مخطوطة يونانية قديمة للمؤرخ الراهب كاسيوس -وسوف نعرض لكم النقش في نهاية الكلمة.

٦- انظر نشوان الحميري السيرة الجامعة ص ٤٧ - ٥٠.

حراك القومية اليمنية أقيال: أو الحراك القومي اليمني الراهن

أ- تعريف القومية/

القومية لغة: من الجذر قوم، وهو أصل يدلّ على جماعة وقوم، كما يدلّ الآخر على قيام وانتصاب وعزم، نقول: قام قيامًا إذا انتصب واقفًا، والقومية من القيام على الشيء بقوة، يُقال: فلان ذو قومية على ماله إذا كان حسن القيام عليه، وأمر لا قومية له: أي لا قوام له، والقومية هي القامة، وهي صلة اجتماعيّة عاطفيّة تنشأ من اشتراك جماعة في الوطن واللغة والثقافة ووحدة التاريخ والأهداف (٧).

أما في علم الاجتماع فالقومية رابطة سياسية تاريخية تركز على عنصر الأمة والمجتمع والدولة والسيادة، فرينان يصف القومية بقوله: "إن الأمة روح، بل مبدأ روحي وليس الوجود القومي إلا استفتاء يومي"، ويعرف الدكتور علي عباد مراد القومية بأنها مبدأ سياسي عام يسعى لتعزيز سيادة الأمة والمحافظة عليها، وينادي بالحكم الذاتي للأمة على وطنها، ويرى أن على كل أمة أن تحكم نفسها بعيداً عن أي تدخل خارجي (٨).

وتركز النظرية القومية على بناء هوية وطنية واحدة والحفاظ عليها وتعزيز الوحدة الوطنية، بناءً على الخصائص الاجتماعية المشتركة (واحدية التاريخ - الثقافة، الموقع الجغرافي، اللغة، السياسة أو الحكومة، الدين، التقاليد والمعتقدات) وتعزيز مبدأ التضامن الجماعي بين الأفراد.

● الردّ على شبهة أن القومية ردة سياسية وتفرقة

لقد حظيت نظرية القومية بتفسيرات عديدة لفلاسفة ومفكرين وباحثين غربيين وعرب اختلف بعضها عن بعض فيما يتصل بالتأثيرات، غير أنها كلها مجمعة على أن القومية ذات اتصال بالوجود الحضاري للمجتمعات في التاريخ، فالنزعة القومية شكل من أشكال الحياة والممارسة وليست مجرد فكرة للتحليل والتخيل (برويكر)، وهي تتقدم بوصفها ظاهرة شاملة عالمية لكنها ذات خصوصية ومحلية بشكل لا يمكن تجنبه (أندرسون)، وهي من سمات العصر الحديث لكنها ضاربة بجذورها في تربة شيء أقدم بكثير من ذلك العصر (آدم سميث)، وهي تتعلق أساساً بأمور ثقافية، التاريخ واللغة والدين والرموز غير أنه لا يمكن الفصل بينها وبين التطور الاقتصادي والمادي (٩).

7- انظر، تعريف ومعنى قومية في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي -

8- انظر، علي عباد مراد، القومية والأمة مدخل إلى الفكر السياسي القومي، ص ٨، ٤٥،

9- انظر، ديفيد ماكرون علم اجتماع القومية، ص ٢٦

إن القومية فكرة أولية لنشأة الدولة في التاريخ، فالاجتماع البشري الأول خط مسيره من مبدأ الأمة المستقلة وسلطانها المتمثل في الدولة، ولهذا نطلق عليها الأقوام والأمم السابقة للتعبير عن حالة الدولة وطبيعتها حيث كان التداخل بين الأمم لا يزال بنسب ضئيلة جداً، والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة التكوينية للدولة القومية الأولى، فهو يصف الأمم السابقة بالأقوام إما مضافة لأنبيائها للدلالة على بداياتها التكوينية من خلال الفكرة الدينية، كما في وصفه تعالى (قوم نوح - قوم هود - قوم صالح - قوم موسى - قوم يونس - قوم لوط)، فهي مجتمعات كانت في بداياتها التكوينية كدولة وسلطان سياسي، وربما انحرفت فجاءت الفكرة الدينية عبر أنبيائها لتصبو مسار الفكرة السياسية، والصورة الثانية هي عرض القرآن الكريم لظاهرة القومية مضافة للحضارة كما في وصفه لقوم سبأ وقوم تبع، وهي إشارة لطبيعة تطور المبدأ السياسي القائم على مبدأ الوحدة القومية والأمة ذات الرسالة التاريخية، حيث شكل ذلك اندفاعاً قوية بلغت بالدولة مستوى الحضارة المركزية، ولذلك نجد القرآن الكريم يفرد سورة كاملة لحضارة سبأ تقابلها سورة كاملة لحضارة الرومان، وهي إشارة لنشأة المنافسة الحضارية الأولى بين الشرق والغرب حيث ورثت امبراطورية الرومان السلطة المركزية بعد تراجع امبراطورية التبابعة المركزية التي كانت مؤتلفة مع الفرعونية والآشورية والبابلية في امبراطورية واحدة، حيث بدأ التراجع من القرن السادس قبل الميلاد عندما سقطت أفريقيا ومصر والشام والعراق في أيدي الفرس بقيادة قورش الأكبر، لكنها لم تدم طويلاً تحت سيطرة الفرس حيث خضعت بعد قرن ونصف للرومان بقيادة الاسكندر المقدوني الذي قضى على امبراطورية الفرس في القرن الرابع ق.م.

إن ظهور القومية في التاريخ مرتبط بظهور الأمم، فالقومية هي الرؤية السياسية للأمة منذ الأزل، وإن ظهور الأمم المتعددة مسألة فصلتها الكتب السماوية كما روتها كتب التاريخ، فالقرآن الكريم يسجل حقيقة ناصعة للوجود القومي الأول بقوله: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ..."، وإذا فإن اختلاف الأمم وتعددتها فطرة كونية لتحقيق غاية المنافسة ودافعية التطور، ولو كانت البشرية أمة واحدة لانتفى ذلك كما في قوله تعالى: "وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً..."، وإذا فالأديان والرسالات هي المؤسس الأول للفكرة القومية والوجود القومي للأمم، لأن ذلك من مقتضيات التعدد والاختلاف الذي ينتج دافعية التنافس والتداول الحضاري بين الأمم، وإلا لجمدت الحياة البشرية وسكنت على طبيعتها البدوية الأولى.

لعل مسألة الوحدة القومية هي أكثر الأمور مدعاة للملاحظة والانتباه في الفكرة القومية، فالوصف القرآني الذي تضمن مصطلح قوم اختلف في أسلوب عرضه لفكرة القومية بين مستوى نسبة

الأقوام لأنبيائهم إلى مستوى نسبة الأقوام للفكرة الحضارية، ففي الحالة الأولى ركز على تكذيب الأقوام لأنبيائهم ولم يشير لحالة التحضر والرخاء والملك، بينما في الحالة الثانية ركز على جوانب الحضارة والمدنية كما في تناول القرآن الكريم لقوم سبأ بذكر الرفاه الاقتصادي والأبهة والملك كما في قوله تعالى: (لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال) وقوله: (أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم)، فإذا تشير الحالة الأولى إلى مجتمع مصغر تشكل من لون واحد وربما جنس واحد، بينما تشير الحالة الثانية إلى أمة مؤتلفة من عدة جماعات يوحدتها مبدأ ثقافي ونظام سياسي، وهذا ما يدحض كليا ادعاء أن القومية تعني الأعراقية، لأن من أخص خصائص المبدأ القومي التجميع والوحدة القومية، وليس التجزئة على أسس عرقية.

لقد لاحظ هذه المسألة بدقة الباحث الأثري الدكتور أحمد بدوي وهو يدرس تطور مصر وسياستها في التاريخ القديم بعد الوحدة، إذ تحولت إلى المبدأ القومي الاتحادي العام فأخذت النظم السياسية تتطور، وأخذت قوة السلطان الجديد التي أقامت راية الاتحاد ورفعتها تجمع في يدي صاحبها عنصرين أساسيين من عناصر النظام والسياسة والإدارة التي كانت تُتبع في قطري الوادي والوجه القبلي، حيث رأى "ميناً" وأصحابه فيما يظهر عند أهل الشمال (الوجه البحري) من مظاهر الحضارة ومن النظم السياسية المستقرّة ما أعجبهم فأبقوا عليه وأخذوا به وأقروه، فجمعت راية الاتحاد دولتين عظيمتين إحداهما في الجنوب والأخرى في الشمال ونشأت من ذلك القومية المصرية العامة (١٠).

أما نشأت القومية حديثاً فقد جاءت كردة فعل على نزعة الاستعمار الغربي الذي تأثر بالفكرة الليبرالية والنزعة المركزية لرأس المال، فأراد إخضاع العالم لسلطته واعتبار الشعوب وثرواتها مغنم وعبيد للإنسان الأصفر، فغزت فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والنمسا عدة شعوب أوروبية وأسيوية وأفريقية ووصلت أسبانيا حتى أمريكا اللاتينية، فقامت الثورة القومية الأمريكية اللاتينية بقيادة سيمون بوليفار (١٧٨٣-١٨٣٠)، وأعلنت الولايات المتحدة الأمريكية معارضتها لأي تدخل أوروبي، مقررّة مبدأ (أمريكا للأمريكيين) (١١).

في العام ١٨٣٥ م صك الزعيم الإيطالي جويسي ماتزيني مصطلح إيطاليا القومية بعد أن تعرضت إيطاليا لمحاولات الاحتلال الفرنسي، وحينها تنبه المفكرون الغربيون لدلالة المصطلح في الميدان السياسي، وبدأوا دراسة علاقته بالاستقلال والسيادة، وحينما قررت فرنسا غزو الإمارات الألمانية التي كانت تزيد

10- انظر، عبد الرحمن الرفاعي، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة منذ فجر التاريخ، ص ٩.

11- علي البكالي، الأيديولوجية السياسية، الجزء ٢، ص ١٣٦

على ٣٩ دولة، نشأت لدى الألمان الرغبة في الوحدة القومية فأنشأت برلمان فرنكفورت الموحد، فلما هاجمت فرنسا بروسيا خوفاً من تحقق الوحدة الألمانية، كانت الحرب الفرنسية على بروسيا دافعاً كبيراً لانجذاب الألمان لبعضهم والانتقال إلى وحدة قومية اتحادية في العام ١٨٨١م (١٢).

أما في السياق العربي فقد نشأت فكرة القومية العربية في البدء كردة فعل على سياسة التتريك التي فرضتها جمعية (تركيا الفتاة) داخل البرلمان العثماني، فصارت اللغة التركية هي لغة الدولة، وبدأت المضايقات للعناصر العربية في إسطنبول وهنا شعرت تلك العناصر التي كان بعضها أعضاء في البرلمان العثماني بأن تركيا العثمانية لم تعد دولة جامعة للعرب والأتراك، فنادوا بإصلاح نظام السلطة ليستوعب القومية العربية والقومية التركية، غير أن عملية الإصلاح كانت شبه مستحيلة، وحينها استغل الاستعمار البريطاني الفرصة للنفخ في القومية العربية وتصدير أدوات خاصة به لتركب موجة القومية العربية ليتمكن من إخراج العثمانيين من بلاد الشام والعراق ومصر واليمن واحتلال البلاد العربية، والتمهيد لوعده بلفور لمنح فلسطين لليهود (١٣).

إن التهديدات الخارجية لها تأثير قوي على الروح القومية؛ لأن الناس يدركون بطريقة عميقة أنهم يتعرضون للتهديد بسبب كونهم أمة ذات تاريخ، ومن ثم فهم مجبرون على الاعتراف بأنه فقط في حالتهم كأمة يمكنهم النجاح في هزيمة التهديد، ومع تزايد التهديدات الخارجية، تزداد القدرات الذاتية للمجتمع القومي لانتاج الدولة. وهنا يقرر (جيفري هيرست) "أن نقص التهديدات الخارجية للبلدان، في أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى بعد الاستقلال، يرتبط بضعف القومية وقدرة الدولة" (١٤)

إن فكرة القومية فكرة قديمة حديثة إذ أن الحضارات القديمة قد امتلكت شعوراً قومياً بمفهوم تلك الحقبة الزمنية - وهذا المفهوم اتخذ صوراً متعددة مثل الولاء للحاكم والتعلق بالأرض، أو الشعور الجماعي بالسمو على الأقاليم الأخرى، أو الاعتقاد بديانة واحدة. وإذا ما قلنا باستحالة قيام الدولة القديمة كالسبئية والحمرية والفرعونية أو البابلية أو الكنعانية على أسس قومية فكيف نفسر إذن الروح الجماعية التي كانت تقود هذه الأقاليم للدفاع عن أرضها وسيادتها ضد الغزاة من الأقاليم الأخرى، وكيف نفسر الصراعات القديمة بين الامبراطوريات المختلفة؟ وما الدافع الذي كان يقودها في تلك الصراعات؟ ومع ذلك، وبنفس الوقت قد لا نستطيع الجزم أن تلك الأقاليم كانت تمتلك رؤيا سياسية متكاملة

12-نفسه، ص ١٣٨

13-نفسه، ص ١٣٩

14-أوموت أوكير يملي، نظريات القومية، ص ٧٤

حول مفهوم القومية كما هو المفهوم في عصرنا، ولكن نستطيع القول إن كل ما أضافه مفكري القومية الحديثة ليس سوى بلورة مفاهيم موجودة ومطبقة فعالة وتحويلها إلى أفكار نظرية مجردة.

إننا نجد البعض يتجاوز المفهوم العلمي كما هو في الحقل السياسي والاجتماع التاريخي، وينظر إليها من خلال زاوية واحدة هي زاوية القومية العربية والتنظيمات الممثلة لها في القرن العشرين، ولعل أبرز اسقاطاته على القومية تصويرها في موقف الخصومة مع الدين، وهو في ذلك متأثر بتوجهات بعض القوميين العرب من غير المسلمين أمثال جورج زيدان ومشيل عفلق وجورج حبش وغيرهم.

يبدو البعض - أيضاً - متأثر كذلك برؤية الإسلام السياسي المعاصر للقومية، وهي الرؤية التي جسدها كتاب الشيخ عبد الله عزام عن القومية، إذ يرى أنها جلبت مع الاستعمار الفرنسي لمصر، وأنها محاولة الغرب استبعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه، بعد فشله في الحروب الصليبية، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنن (١٥). ولربما لا زالت هذه الصورة حاکمة لكثير من التصورات لدى عدد من الباحثين والمتقنين من ذوي التوجه الإسلامي حتى اللحظة، وقد زاد من تمسك البعض بها فشل القومية العربية في النهوض بالمجتمعات وتحويلها إلى إشكالية أيديولوجية تسببت في عدد من الصراعات والانقسامات بين الأقطار العربية.

الواقع أن ثمة فرق جوهري كبير بين القومية اليمنية والقومية العربية، فالقومية اليمنية تستمد قوتها من أصل تاريخي ثابت ومستقر، إذ تشكل الأصل والمرجع بالنسبة للوجود العربي كله، فالعرب تقول "من ليس يمني فليس عربي"، وهي مسنودة -أيضاً- بواحدة الروح الحضارية والثقافة التاريخية للأمة اليمنية كنواة تاريخية للأمة العربية، والبعض قد يستغرب لماذا نطلق على اليمن أمة؟ معتقداً أن الأمة لا يجوز إطلاقها إلا على العرب قاطبة، ولكنه هنا يتناسى أحكام اللغة العربية في جواز إطلاق البعض ليراد به الكل، حينما يكون البعض مشتتاً على الكل، ومنه قوله تعالى في وصف إبراهيم -عليه السلام-: "إن إبراهيم كان أمة" أي أنه استطاع بجهوده توحيد حج العرب وديانتهم، وبما أن الفعل الديني اشتمل على الوحدة القومية للعرب جنوباً وشمالاً فإذن صح إطلاق مصطلح أمة على إبراهيم (ص) نظراً لفعله الموحد للأمة العربية في التاريخ القديم.

اليمن أول وجود تاريخي للعرب قاطبة، بل ولغير العرب، وكل العرب منسلون من اليمن سواء عرب الجزيرة أم عرب الشمال أم عرب أفريقيا، وإذن فإن إطلاق مصطلح أمة على اليمن ليس من

١٥-عبدالله عزام، القومية العربية، ص ٨١

قبيل منافسة الأمة العربية - كما يظن البعض - أو الانفصال عنها، بل إعادة الاعتراف باليمن كوجود أولي تاريخي مؤسس للوجود العربي، كما أنها ذات بعد وطني تستوعب في إطارها كل من يقع في نطاقها الوطني، عدا من يدعو إلى هوية قومية مناهضة لليمن كدعوة السلايين لهوية البطينين والهاشمية واعتصامهم بها كمنافس وظهير وخضم سياسي وأيديولوجي للهوية اليمنية تتناقض كلياً مع انتماء الإنسان اليمني لأرضه ووطنه وتاريخ أسلافه.

● العلاقة بين القومية والوطنية ليست تضاد وتناقض

إن العلاقة بين القومية والوطنية كالعلاقة بين الإنسان وظله، فالوطنية ليست سوى الأثر الثقافي والقانوني للقومية، ذلك أن المجتمعات في علاقتها بالتاريخ تعود إلى صنفين لا ثالث لهما، فإما أن تكون مجتمعات ذات امتدادات تاريخية تستند إلى هوية حضارية ورصيد من التراث الثقافي التاريخي، فهي إذا مجتمعات ذات روح قومية متصلة عبر الزمن، حتى وإن مرت بفترات تخلف وانكسار فإن روحها القومية تظل تشكل عاملها النفسي والاجتماعي، فهي الضامن الرئيس لوحدها وتماسكها وبقائها عبر الزمن مهما تعرضت لانكسارات وتحديات، ومن هذه المجتمعات اليمن ومصر والعراق وسوريا وغيرها من المجتمعات ذات الاتصال الحضاري عبر آلاف السنين، حيث يعتبر التاريخ بالنسبة لهذه المجتمعات رصيد تراكمي بكل أجزائه المشرقة والمنكدر، يحوي في طياته صور الابداع كما يحوي صور المأساة، في حلقات متصلة منذ ولادتها الأولى وحتى اللحظة. وهذه دون شك مجتمعات ولدت بشخصيتها المستقلة ذاتياً، ولا تستطيع أن تبعد إلا من خلال ذاتها ووفق مشروع بعث وحياء متجدد لروحها القومية لتقييم ذاتها أولاً ثم تعيد تأهيلها طبقاً لمعطيات العصر الذي تعيش فيه.

وأما اللون الآخر من المجتمعات فهي المجتمعات الطارئة أو الحادثة أو بمعنى أصح المجتمعات التي ولدت في العصر الحديث، ويؤرخ لها بالثورة الفرنسية وما بعدها، وهذه المجتمعات مهما امتلكت من أسباب القوة المادية إلا أنها تفتقر إلى القوة الروحية المتمثلة في المبدأ القومي والموروث التاريخي المرئي لها، ولهذا نجد هذه المجتمعات تؤسس شخصيتها السياسية على فلسفة مختلفة، إذ تذهب للإعلاء من شأن علاقات المنفعة والعمل والسلطة، ومن هذا القبيل شكلت نظرية جون ديوي النفعية معالجة ثقافية بديلة للاجتماع السياسي الأمريكي الحديث الذي ولدت وفقاً له الولايات المتحدة الأمريكية من مجموع الهجرات الأوروبية.

في حالة المجتمعات التاريخية تكون الهوية القومية هي الشرط النفسي اللازم للبعث الحضاري المتجدد للمجتمع والأمة ، لأنها البيئة الأولى التي ولد من خلالها المجتمع في التاريخ، وهو لن يتجدد ويكتسب الدافعية للنهوض إلا بنفس الظرف الثقافي الذي ولد فيه، فإذا ما أردت توليده من خلال بيئة مغايرة لبيئة ميلاده فإنه يعاود النوم من جديد مسلماً واقعه للأصنام والأنايات والاعترايات الوافدة، والمجتمع اليمني خير شاهد على ذلك، فلکم أقيمت عليه من تجارب إعادة توليد قيصرية في ظروف مغايرة لبيئته النفسية الأولى طوال التاريخ الإسلامي، لكنه لم يتقبل النهوض مطلقاً وفقاً لشروط نفسية مغايرة لذاته وشخصيته.

إن الدويلات المذهبية والطائفية والجهوية التي نشأت في اليمن أو أنشئت بفعل خارجي منذ القرن الثالث الهجري وحتى اللحظة، حيث سلطة ميليشيا الإرهاب الحوثية، كلها سعت لبناء دولة لسلطانها في اليمن وفقاً لمقاييسها الوافدة الاعتراية ، لكنها لم تستطع أن تنجز هدفها على الحقيقة ولم تقم دولة ذات شأن يرتقى، بقدر ما شكلت سلطات حرب وصراع طائفي ومذهبي وجهوي ومناطقية لا تدوم حلقاته سوى بضع سنوات ثم تسقط، وهي إذ تسقط وتقع بشكل سريع لأنها مهما فعلت أو رهبت أو رغبت لا يمكن أن تندمج بروح الشعب وشروطه النفسية والزمنية، ولكنها فحسب تستغل حالة ضعفه وسكونه وتخلفه، ومع ذلك تسقطها اختلاف وتباين العوامل النفسية والروحية، وهو ما نتبأ به كمصير محتوم لميليشيا الإرهاب الحوثية والدعوات الجهوية خلال سنوات قليلة قد لا تتجاوز عقد من الزمن.

إن المجتمعات التاريخية بالضرورة تبدأ سيرها للمستقبل من الماضي، بإحياء اشراقاته، وبعث نموذجها النظري والعملية وروحه القومية كشرط نفسية لإيقاظ روح المجتمع ودافعيته، وبعد أن يستيقظ المجتمع مدركاً عمق التحدي، فإن يصوغ من ذات نفسه العلاقة بين ماضيه وحاضره ومستقبله، في نطاق مبادئ الفاعلية والدينامية الاجتماعية المحققة للاندماج والحضور السياسي كدولة مستقلة ذات سيادة، تقوم على مبادئ الوطن والمواطنة والمساواة والقانون باعتبارها قيم تاريخية متجددة ومتجذرة في روح الأمة تستدعيها كلما أرادت إعادة بناء النظام والدولة وشبكة العلاقات الاجتماعية.

إن الوطنية والمواطنة والانتماء والمساواة في المجتمع التاريخي تكون انعكاساً ثقافياً وقانونياً لعناصر الوجود القومي المتمثلة في الوطن والتاريخ المشترك والهوية واللغة والدين والوحدة القومية، وتغدو مهمة الدولة تحقيق هذه القيم وحمايتها بقانون ونظام متوازن ، يتصل من جهة الدافعية بالروح القومية كما يتصل من جهة الحقوق والقانون بقيم المواطنة الحديثة ، وبهذا تغدو الوطنية صورة أخرى للقومية منعكسة

على صفحة الواقع الاجتماعي والسياسي، فإذا كانت القومية تشكل روح التاريخ والهوية، فإن الوطنية تجسد روح الانتماء للوطن والدولة.

أما المجتمعات الطارئة والحديثة فإن عناصر دافعيتها للاجتماع والعمل المشترك ليست كامنة في التراث والتاريخ، بل في مقدار النفع المتحصل من خلال الاجتماع والعمل المشترك، ومن ثم فإن تركيز قيمها السياسية يبدأ من نقطة المنفعة والقانون المنظم لها، وهي تماماً ما اعتمدت عليه النظرية الليبرالية في أوروبا الحديثة حينما أطلقت قيم الحرية الفردية والملكية والعقد الاجتماعي التضامني، ولوازم ذلك من قوانين تنظم المواطنة والقانون والعمل على أساس مبدأ الحرية والنفع.

لو أننا تناولنا أي دراسة قومية وطنية حديثة لوجدنا أنها تدعو إلى فكرة قديمة كمثال يجب الاقتداء به، فعلى سبيل المثال، كان ميكافيللي يستوحي أفكاره في الدعوة إلى الوحدة الإيطالية من التاريخ العظيم لإمبراطورية الرومانية وأمجاد روما، بينما استوحي الفرنسيون أفكارهم القومية من مملكة الغال القديمة وأمجاد شارل ما رتل، واستوحي الألمان والإنجليز أفكارهم من ممالك القبائل الجرمانية القديمة، بينما ركزت الحركة الصهيونية الحديثة في دعوتها إلى وطن قومي على أخبار دولة اليهود القديمة وأمجاد الملوك داود وسليمان، والدولة الإيرانية المعاصرة قامت على أمجاد الفارسية القديمة، وحاولت أحياء صراعها القديم مع الامبراطورية العربية، ولا تزال الدولة التركية الحديثة تستمد بعدها القومي من أمجاد آل عثمان، ومحاولتها إعادة التأثير في الدول والشعوب العربية، ونرى أيضاً أن بعض القوميات الحديثة التشكيل قد اضطرت إلى محاكاة القوميات الأخرى كنموذج لوحدها القومية وذلك لافتقادها البعد القومي التاريخي وأكبر مثال على ذلك القومية الأمريكية الحديثة التي تبنت الأفكار القومية للثورة الفرنسية كأساس لانطلاقها.

خلاصة القول إن القومية والوطنية صورتان شبه متطابقتان فهما تركزان على الوطن وكل ما يتصل به بما في ذلك التاريخ والتراث في المجتمعات التاريخية، غير أن القومية تعطي أولوية كبرى لأبعاد سياسية بعينها أكثر من الوطنية كالسيادة والاستقلال، بينما تركز الوطنية على الانتماء والحقوق المتساوية، ولكنهما في الأساس صورتين مكملتين لبعضيهما، وفي المجتمعات التاريخية تشكلان متلازمتين لا تنفك أحدهما عن الأخرى، وهنا يخطئ كثيراً أولئك الذين ينادون بالفصل بين القومية والوطنية، مدعين -جهلاً- أن الوطنية فلسفة جامعة لكل أفراد الشعب بخلاف القومية التي تخص جماعة تاريخية - حد زعمهم- وهو زعم باطل غير صحيح لأن القومية ليست سوى الصورة التاريخية للوطنية، بينما الوطنية الصورة الثقافية للقومية.

ب- تعريف الحراك القومي أقبال/

حراك ثقافي فكري إحيائي يدعو لبعث الروح الحضارية للأمة اليمنية وإحياء الهوية اليمنية التاريخية للتخلص من حالة الصراع الهوياتي الفكري المزمّن الذي خلقته الهجرات السلالية الرسية العلوية والفارسية إلى اليمن طوال قرون التخلف الوسطى والحديثة، مستغلة هجرة الكفاءات والنخب والقبائل اليمنية بشكل جماعي طوال ثلاثة قرون من الفتوحات الإسلامية التي حمل عبئها اليمنيون، فلما خلت اليمن من القادة السياسيين والمتعلمين والنخب تقاطرت العناصر العلوية والفارسية إلى اليمن تحت دعوى نشر دعوة آل البيت ومذهبهم السلالي، مستغلة حالة الفراغ والتخلف والفرقة السياسية لليمنيين، وكان أولهم قدوماً إلى اليمن إبراهيم الجزار بن موسى الكاظم في ١٩٨ هـ أيام المأمون حيث كان أخوه علي الرضا بن موسى الكاظم نائباً للمأمون أو ولياً للعهد، فأرسل أخاه إبراهيم بن موسى إلى اليمن لإقامة مستعمرة سلالية اثني عشرية شيعية في اليمن، وقدم اليمن بـ ٦٠٠٠ مقاتل أغلبهم من الفرس وهدم مدينة صعدة وسد الخائق وكان يدمر كل الآثار الحضارية ويقتل الرجال والأطفال حتى هزمه اليمنيون على أطراف صنعاء بعد أن أقام مجازر لا حصر لها، وقتله اليمنيون في معركة جدر في الطرف الشمالي من صنعاء (١٦)، وبعده بجوالي قرن وفد يحيى بن الحسين الرسي الطباطبائي مدعياً النسب الهاشمي ومعه جيش من الطبريين، قدم نفسه داعية ومصلحاً، مدعياً أنه ابن الرسول (ص) وأن له كرامات ونفحات وأنه يريد أن يجعل من اليمن مركزاً سياسياً ينافس مركز الدولة العباسية في بغداد والفاطمية في القاهرة (١٧)، فلما سلمت له بعض قبائل صعدة وما حولها أعمال فيهم السيف وأخذ يتفرد بهم قرية تلو أخرى، يقتل وينهب ويسبي حتى وصل صنعاء وذمار، وخاض ٨٠ معركة ضد القرى والقبائل ليخضعها لسلطته ومذهبه^(١٨)، وظلت تنتهج الانغلاق والعنصرية والعنف الطائفي، مستغلة تراجع الأمة اليمنية وتخلفها في العصور الوسيطة الإسلامية، وتحليص الشعب اليمني من النزعة العنصرية السلالية الكهنوتية وأكذوبة البطنين والولاية والإمامة والحق الإلهي التي شكلت أعلى مظاهر الاستلاب

¹⁶- انظر علي محمد زيد، تاريخ معتزلة اليمن، دولة الهادي الرسي وفكره، ط ١، ص ٤١. وانظر الشماخي، الإنسان والحضارة، ص ٢، ج ٢، ص ٢٥.

¹⁷- انظر سيرة يحيى الرسي الملقب بالإمامي الهادي كتبها ابن عمه وقائد جيشه في حروبه ضد اليمنيين محمد بن علي العلوي، ص ٣٦-٧٠.

-18

ذكر هذا العدد مجد الدين المؤيدي في كتابه الولاية وأئمة آل البيت، ص ٧٥-٨٠، أورد علي بن محمد العلوي في سيرة يحيى الرسي في مواضع متفرقة عدداً من الأحداث والمواقف الإجرامية التي قام بها يحيى الرسي بحق القبائل اليمنية تشتمل على القتل والتعذيب وسبي النساء وهدم المنازل وقطع وحرق المزارع بحق كل من خالفه ورفض بيعته من قبائل اليمن وشيوخها، ومن ذلك قتل رجال بني الحارث في نجران وصلبهم منكسة رؤوسهم، وإحراق وهدم منازل أهل خيوان وآل فطيمة، وسبي نساء صنعاء، وغير ذلك مما يمكن للقارئ الرجوع إليه من خلال كتاب سيرة الهادي يحيى بن الحسين الرسي.

الحضاري والثقافي والهوياتي للأمة اليمنية، وحرمت اليمنيين من بناء دولتهم واستقرار وطنهم على مدى قرون بدعوى أن الحكم والسلطة وقفاً على السلالين المتوردين حلفاء الفرس، وأنه ليس لليمني من نسل قحطان وسبأ وحمير أن يحكم بلاده على الإطلاق، وإنما يجب عليه أن يعيش كعبد خانع يسلم الحكم والسيادة والسلطة والثروة للعناصر السلالية الكهنوتية التي تمارس الوثنية والتجهيل ونشر الخرافة والشعوذة وادعاء القداسة وتدوير العنف والإرهاب والحروب في كل جيل، وتفتح أبواب اليمن للاستعمار والتدخلات الخارجية بشكل مستمر.

ولم تشهد اليمن جرماً في تاريخها الطويل الذي يزيد على ٧ ألف عام أكثر مما فعل بها السلاليون الغزاة العلويون والفرس بثوب الخديعة الدينية الزائفة، حيث أسسوا لأيديولوجيا إمامية زيدية وصوفية سلالية وثنية، قائمة على العنصرية والعنف والاستلاب وتقديس السلالة وإشراكها في التوحيد والعبادة مع الله تعالى، تحت دعوى أن عناصر السلالة هم قرناء القرآن والقرآن الناطق، ووكلاء الله على اليمنيين، وأن الله لن يقبل من اليمنيين توحيداً ولا صلاة وعبادة ما لم يؤمنوا بولاية الغزاة السلايين وقد استهم، ويسلموا لهم بلادهم وأرضهم ووطنهم يحكمونها وينشرون فيها الفساد والدماء إلى يوم الدين، وقد ظلت تنشر الطبقية والفوضى والجهل والحرب والدمار في مناطق شمال اليمن طوال ١٠٨٠ عام، فلا يكاد الباحث في تاريخ اليمن الوسيط يجد فترة مستقرة مرت بسلام دونما حروب أهلية، وصراعات طائفية، وكوارث إمامية، ورغم أن الأيديولوجيا المهادوية السلالية لم تقم في اليمن دولة بمعناها الحقيقي إلا أنها أقامت حروباً طائفية ومناطقية طويلة المدى، لا تزال صورها ماثلة اليوم بين أيدينا من خلال الحركة الحوثية الإرهابية التي تشكل الامتداد الطبيعي لذات الأيديولوجيا وذات السلوك وذات النزعة الاستعمارية.

الدوافع والأسباب

قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م للقضاء على سلطة الكهنوت الإمامي السلالي الوافد الذي أدخل اليمن مقابر الزمن طيلة عقود، وجعلت اليمن حتى العام ١٩٦٢م يعيش حياة العصور الوسطى الكنسية في أوروبا طبقاً لشهادة المؤرخ الإنجليزي إدجار أوبلانس الذي زار اليمن نهاية الأربعينات من القرن العشرين، وظل يراقب التحولات في اليمن ثم ألف كتاباً عن مشاهداته وشهاداته قال في مقدمته:

"من بين كل البلدان التي زرتها في العالم لم أخرج بذلك الانطباع الذي خرجت به من زيارتي لليمن، وهو الرجوع القهقري إلى العصور الوسطى (١٩)".

وبعد نجاح الثورة اليمنية ١٩٦٢م وانتصارها في حصار السبعين ١٩٦٨م على جحافل الإمامة ومرتزقتها (٢٠)، ورحيل بيت حميد الدين تحولت اليمن إلى النظام الجمهورية وأضطر الإماميون للسلايون للدخول تحت كنف الجمهورية،

غير أن العناصر السلالية التي تنتمي للأسر الهادوية العلوية والفارسية والتي كانت ولا تزال تضع نفسها موضع الأسياد على اليمنيين بدعوى أنها من أكذوبة آل البيت والبطنين، وترفع بوجه الأمة اليمنية شعار الولاية، لم تتقبل رحيل الإمامة وعهود الكهنوت، وانتقال اليمن إلى النظام الجمهوري والعصر الحديث، ولكنها أظهرت الرضى بالوضع الجديد بعد المصالحة التي جرت في ١٩٧٠ بين الإماميين والجمهوريين، فانخرطت في الوسط الجمهوري ومؤسسات الدولة مبطنة نزعة الإمامية، ثم شكلت منذ العام ١٩٧١م ما سمي بالمجلس الأعلى للأسر الهاشمية في اليمن بعضوية ١٢ فقيهاً وسياسياً من عتاولة النظام الإمامي البائد ومرجعته المذهبية، برئاسة أحمد محمد الشامي وزير خارجية الكاهن الإمام البدر سابقاً، وظل المجلس يعمل كتنظيم خفي غير معلن مرتبط ببقايا أسرة حميد الدين حتى قيام الثورة الخمينية ١٩٧٩م (٢١).

وفي العام ١٩٩٠م تحققت الوحدة اليمنية بين الشطرين وأعلنت التعددية السياسية والنهج الديمقراطي لإدارة السلطة، حينها أعلن المجلس ولائه لإيران والخميني وخرجت المظاهرات في صعدة رافعة صور الخميني، ثم كانت أول زيارة للخميني من قيادات المجلس في ١٩٨٢م، وكان على رأس وفد التهئة بنجاح الثورة الإيرانية الخمينية الكاهن أحمد محمد الشامي رئيس مجلس التنظيم السري الهاشمي (٢٢)، وكان ناقماً على النظام السعودي بسبب قبوله المصالحة مع الجمهوريين والاعتراف باليمن دولة جمهورية في ١٩٧٠م، فقد كان ممثلاً للجانب الإمامي في المصالحة وأضطر للدخول في كنف الجمهورية مكرهاً،

19- أنظر، إدار أوبلانس، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ترجمة وتحقيق عبد الخالق لاشيد، مكتبة مدبولي، ط١، ص ٢٩.

20-

حصار السبعين هو مؤامرة كبرى حيكّت ضد الثورة اليمنية والجمهورية الوليدة في صنعاء، أشرف عليها ضباط بريطانيون وأمريكيون وفرنسيون وإسرائيليون وكنديون بقيادة الجنرال الفرنسي المتقاعد بوب دنر، حشد فيها أكثر من ٧٠ ألف مرتزق من قبائل الإمامة تم تدريبهم وتسليحهم لاقتحام صنعاء بالإضافة ل ٨ ألف مرتزق أجنبي أغلبهم أوروبيون، حاصروا صنعاء ٧٠ يوماً حتى كادت أن تسقط، لكن صمود جيش الجمهورية داخل صنعاء أفشل المؤامرة وانتصرت الثورة والجمهورية وانسحب المرتزقة وفروا خارج اليمن، أنظر بشأن ذلك مذكرات القاضي الإيراني، الجزء الثالث ص ٢٧ - ٤٠

21- أنظر، د. رياض الغيلي، التنظيم السري للهاشمية السياسية، حلقات بحثية منشورة في موقع مأرب برس وعدد من المواقع الصحفية.

22- المرجع السابق.

ولكنه بعد ١٢ عاماً وفور مقابلته للخميني خرج معلناً رفضه للجمهورية في صنعاء مجدداً فقال مخاطباً الملك فيصل بن عبد العزيز:

قل لصنعاء والقصور العوانس إننا سادة كرام أشاوس
سنيعد الإمامة للحكم يوماً بثوب النبي أو بأثواب ماركس
فإذا خابت الحجاز ونجد فلنا إخوة كرام بفارس (٢٣).

لقد استمر التنظيم السلالي ينخر جسد الجمهورية والمؤسسات الحكومية والنخب السياسية والثقافية حتى إعلان الوحدة اليمنية والتعددية السياسية ١٩٩٠م، حينها خرج المجلس الهاشمي السلالي للعلن في صورة أحزاب سياسية هما حزب الحق واتحاد القوى الشعبية، تشكلا بطريقة مذهبية وسلالية محضنة، وعنها نشأ تنظيم مسلح بدأ باسم الشباب المؤمن، ويعني المؤمن بالإمامة وليس بالجمهورية، ثم تطور إلى الميليشيا الحوثية المسلحة التي شنت حروبها على الدولة منذ ٢٠٠٤م مدعومة من إيران وصولاً إلى غزو مليشيا الإمامة الحوثية الكهنوتية لصنعاء واسقاطها في نكبة ٢١ سبتمبر ٢٠١٤م بدعم إيراني، ثم ما لبثت الميليشيا أن صادرت الدولة ومؤسساتها وحاربت كل ما يتصل بالجمهورية والنظام الجمهورية، وجرفت كل موظفي الدولة من اليمنيين واستبدلتهم بعناصر سلالية تنتمي للهاشمية المؤمنة بأكذوبة الإمامة والبطنين، ثم شنت حروبها بطول اليمن وعرضها مدعومة من إيران وبعض الأطراف الدولية، بغية إخضاع اليمنيين لسلطة السلالة الكهنوتية المتوردة وتحويل اليمن إلى نفوذ سياسي وثقافي ل طهران وتطبيق نظام الملالي وفكرة الولي الفقيه في اليمن لتجعل من الكاهن السلالي المجرم عبد الملك الحوثي سيداً بالقهر على اليمنيين وسلالته بديلاً عن الديمقراطية كنظام للسلطة السياسية.

ولم تتوقف الميليشيا السلالية الإمامية عند الفعل السياسي بل تعدته إلى تحريف الثقافة والهوية والتعليم فاعتدت على الهوية اليمنية فاستبدلتها بخرافة الهوية الإيمانية التي تعني في مناهجها المتطرف الإيمان بولاية السلالة الكهنوتية والإيمان بأن المجرم عبد الملك الحوثي ابن رسول الله وأن الحكم والسلطة حقاً حصرياً له، وجعلت معيار الانتماء والوطنية والوظيفة العامة ليس الانتماء لليمن والدولة اليمنية وإنما الانتماء للسلالة الكهنوتية وخدمتها.

كما قامت بمصادرة وتدمير كل الآثار المتصلة بالحضارة اليمنية، وتغيير كل المسميات والرموز التي تشير للأمة اليمنية وهويتها أو للثورة والجمهورية حتى أسماء الشوارع والمدارس والجامعات غيرتها بأسماء سلالية كهنوتية.

ثم اعتدت على التعليم ومناهجه فحولته إلى تعليم طائفي سلالي كهنوتي يحارب اليمن ويكرس خرافة السلالة ويمجد إيران ويقدم في العرب، وقامت بتسريح المعلمين واستبدالهم بخريجي الحوزات، وفرضت تدريس ملازمها الكهنوتية الخرافية على المدارس والجامعات وحتى المساجد والخطباء وغير ذلك. ونفتت خبثها وحقدتها على كل ما هو يمني أو يتصل بالأمة اليمنية وحضارتها وتاريخها وكل ما يتصل بالجمهورية والثورة، ومارست القتل والتنكيل والسجن والتعذيب بكل من يرفض عنصريتها ونهجها السلالي حتى هجرت ٤ مليون يمني من منازلهم وقراهم ومدنهم وقتلت أكثر من نصف مليون يمني وأكثر من ذلك جرحى ومعاقين في حروبها ومعاركها ضد الأمة اليمنية على مدى ٨ سنوات.

والتفتت للمال العام فسرقت خزينة الدولة وإيراداتها وسرقت التجار والمواطنين بكل الوسائل والطرق وصادرت قوت المواطن ومصلحه والخدمات العامة وحولته إلى السوق السوداء فصارت عناصرها السلالية أغنياء يهربون الأموال للخارج ويفتتحون الشركات التجارية خارج اليمن، بينما افتقر الأغنياء والتجار من اليمنيين، وانسحقت الطبقة الوسطى فتحول الشعب اليمني كله إلى طبقة البروليتاريا وصار ٢٥ مليون نسمة تحت خط الفقر مهددون بالمجاعة (٢٤).

كل هذه الأسباب والممارسات تجمعت في صورة مبررات ومسوغات كافية لعودة النخب اليمنية الشابة المتعلمة للبحث عن المشكلة، ونبش التاريخ لمعرفة أساسات العلة وجذورها، للإجابة عن سؤال التخلف وإزمان غياب الدولة، وعلة الصراعات والحروب المتكررة، وعلة الهجرة الدائمة لليمنيين؟

ومن خلال العودة للتاريخ الوسيط ومعطياته وجد جيل الشباب اليمني الحامل لجروح أمته الجواب الكافي المتمثل في غياب الذات اليمنية وتعرض الأمة اليمنية للخيانة التاريخية والخديعة والاستلاب الحضاري تحت أكل كذوبة آل البيت ومذهب الهاشمية والهادوية والولاية والبطنين والإمامة والمذهبية والطائفية، ونسيان الأمة اليمنية الراهنة لتاريخها وأمجادها وذاتها الحضارية، بإزاء حالة الاستلاب الثقافي والسياسي

بخصوص جرائم الميليشيا الحوثية الإمامية الإرهابية وإيران في اليمن يمكن العودة لكتاب الباحث محمد الولص بحبيبح وعدد من الباحثين، طباعة، مركز البحر الأحمر للدراسات، جرائم إيران في اليمن، ج ١ و ٢، ط ١، ٢٠٢٢ م، الكتابين كلاهما تفصيلاً لجرائم إيران وميليشياتها في اليمن - 24

التي تقودها عناصر السلالة الكهنوتية وتشكل بها علة تخلف اليمن وتأخره واستدوام ليله بالحروب الطائفية السلالية، والأطماع الفارسية التاريخية في اليمن.

من هنا جاءت فكرت المعالجة التاريخية المنهجية بإعادة بعث الروح اليمنية والذات الحضارية المستقلة للأمة اليمنية كجرعة دواء واستشفاء من داء الاستلاب الثقافي والسياسي، فكان حراك القومية اليمنية أقبال هو المولود المعاصر المتصل بروح الأجداد ملوك التبابعة وأقبال اليمن.

● حدود الهوية القومية

حدود الروح القومية لحراك القومية اليمنية أقبال هي حدود الحضارة اليمنية ذاتها، منذ لحظة نشأة الدولة اليمنية الأولى في قوم عاد وقوم قحطان مروراً بعصر التبابعة ثم عصر الدويلات القديمة وانتهاءً بدولة تبابعة حمير المتأخرة التي استمرت حتى لحظة الإسلام، حيث يعتبر الإسلام ورسالته الخالدة الامتداد التاريخي للحضارة اليمنية، واندفاع الأمة اليمنية للدخول في دين الإسلام والاستجابة لدعوة رسوله (ص) لم تكن سوى الحلقة الأخيرة في تفاعلات الروح الحضارية للامة اليمنية مع الرسائل السماوية، والدولة اليمنية المؤسسة للوجود الحضاري التاريخي للأمة اليمنية، منذ لحظة نشأتها في مطلع التاريخ الحضاري للبشرية، وحتى انتشار دعوة الإسلام في عهد الخلفاء، تشكل الهوية الجامعة للأمة اليمنية، والروح القومية التي تؤوب إليها الأجيال المتلاحقة.

ولا تعدُّ فترات التراجع والانكسار الحضاري جزءاً من تكوينات الروح القومية، بل هي سوابل حضارية لأن الأمة في مراحل تخلفها تقع تحت طائلة التبعية والاستلاب للثقافات والأأم المستعلية، فتتداخل في بيئتها الأفكار والثقافات الوافدة، وتعمل على مزاحمة الهوية الأصلية، وفي أغلب الأحيان تحل محلها كقيم استلابيه وافدة، لا تزال تهيل على أجيالها التراب كيلا يعانقوا روح أسلافهم فيستعيدوا أمجادهم وحضارتهم التليدة (٢٥).

وتعد مرحلة دخول اليمنيين في الإسلام وإيمان الأمة اليمنية بالرسالة الخاتمة ونبينا محمد (ص) جزءاً جوهرياً من الهوية اليمنية، على اعتبار أن روح الإسلام وتعاليمه السمحة التي جاء النبي (ص) تشكل امتداداً لرسالة التوحيد الرحمانية اليمانية المتسلسلة من دعوة هود وصالح وشعيب وإبراهيم عليهم السلام، كما أنها امتداد طبيعي لهوية اليمنية التاريخية فما العرب إلا تفريعات للأمة اليمنية وامتدادا لها، غير أن تحول رسالة الإسلام وثقافة التدين في العصر العباسي إلى مشروع سياسي لقريش أو السلالة

25- انظر د. علي البكالي، العقيدة القومية ج ١، ط ٢٠٢١، مؤسسة يمان للدراسات مأرب، ص ١٥-٢٠.

العلوية التي تدعي الولاية والقداسة لا يعد من الإسلام في شيء، بل هو انقلاب على الإسلام الخالص، وتحويل الرسالة إلى مشروع سلالي سياسي واقتصادي للمتاجرة بالدين والرسول(ص)، وهو بالنسبة لنا شكل من أشكال الاستلاب الحضاري الذي عانت منه الأمة اليمنية طوال ١٢ قرن من الغزو والاحتلال السلالي باسم الولاية والإمامة وآل البيت ويجب على الأمة اليمنية التخلص من هذه الاحتلال فكرياً وسلوكياً وكهنة(٢٦).

وإجرائياً تعرف القومية اليمنية بأنها مشروع ثوري تحرري ينطلق من العودة للذات الحضارية اليمنية الأصيلة، والاعتماد عليها في استعادة الهوية وتحرير الإنسان اليمني من العبودية السلالية وخرافة الإمامة والولاية والبطنين ومزاعم الحق الإلهي، وبناء الدولة الوطنية كامتداد تاريخي لحضارة الأمة اليمنية، وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية، سعياً لاستعادة المكانة التاريخية، والنهوض الحضاري.

إنها حركة تحرر وطنية تسعى لتحرير الأمة اليمنية من الاحتلال السلالي الإمامي والفارسي، وانتهاء عوامل التبعية والوصاية والاختزال الحضاري، لإطلاق الروح اليمنية الحرة لتحقيق النهوض المستقل واستعادة أمجاد اليمن التليدة.

• تعاريف إجرائية قومية

تستخدم القومية مصفوفة من المصطلحات والألقاب ذات الدلالة التاريخية المرتبطة بجذور الهوية ومشروع التحرر والثورة القومية، ولكي ينضبط البناء الهيكلي والفكري للثورة القومية نضع التعريفات التالية للمصطلحات الأساسية:

الأقبال: وهم النخبة الوطنية المؤمنة بحتمية تحرير اليمن أرضاً وإنساناً وثقافة من الاحتلال السلالي الكهنوتي الإمامي والفارسي فكرياً وخرافة وسلوكاً، وكل أشكال الاستعمار والوصاية والتبعية ومناهضة كل مؤامرات التقسيم والتفكيك لليمن، والأقبال تاريخياً هم أبناء وأحفاد ملوك سبأ وتبع وحمير، وهم رجال الدولة وقيادات المجتمع من المدنيين والعسكريين.

أما الاكليلات: فأخوات الأقبال المشاركات في مشروع التحرر القومي (٢٧).

26- المرجع السابق.

انظر مسودة رؤية القومية اليمنية أقبال على صفحة فيس بوك، وهي المسودة التأسيسية التي توافق عليها -AQYA 27/https://www.facebook.com/ 27 - :الأقبال المؤسسون في ٢٠١٦م، رابط

الثورة القومية: هي مرحلة التحرر القومي الشعبي من الاحتلال السلالي وميليشياته الحوثية الإيرانية، عبر ثورة قومية شعبية جذرية تنهي مأساة اليمن وتقتلع العلة السلالية من جذورها.

القبيل: هو الإنسان اليمني من أبناء قحطان ومن غيرهم ممن سكنوا اليمن وانصهروا في هويته وشخصيته الحضارية، والتزموا الانتماء إليه الولاء الخالص له، وتمثلوا ثقافته وعاداته وتقاليده، ولم يتعالوا على أبنائه أو يتمسكوا بهويتهم الوافدة على هوية اليمنيين، وليس السلاليون أذعياء الولاية والبطنين الذين سلكوا مسلك الغزو والمسيدة والعنصرية والاستعلاء والكهنوت وخديعة الشعب اليمني بأكذوبة آل البيت، ليسوا من الشعب اليمني ولا الأمة اليمنية وأقيالها في شيء حتى يغادروا أرض اليمن الطاهرة.

- حراك الأقبال: هو الحراك الثوري الشامل ضد الاحتلال السلالي الإمامي والفارسي وأباطيله وخرافته وميليشياته حتى تحرير اليمن كله من دنس المحتل السلالي المتورد، وإخفاء عربدته ومؤامراته واقتلاع عنصريته ونجسه من أرض اليمن الطاهرة (٢٨).

رموز الأقبال ومرجعياتهم

أ- رموز الأقبال

يعتز الأقبال وبفخارون بكل رموزهم الحضارية التاريخية منذ قحطان وسبأ وملوك التبابعة وملوك حمير، وحتى لحظتنا هذه التي قدم فيها عدد من الأبطال والرموز القومية أرواحهم في سبيل تحرير اليمن العظيم من ميليشيا الإمامة السلالية الحوثية، وبالمجمل يعتد الأقبال بالرموز التالية:

- كل ملوك سبأ وتبع وحمير حتى لحظة ظهور الإسلام.
- القبيل الثائر عبهلة بن غوث العنسي ورفاقه الثائرون ضد باذان الفارسي.
- القبيل الثائر ذي الكلاع الحميري.
- القبيل الثائر عمر بن معد كرب الزبيدي
- كل الأقبال الثائرين الذين حملوا رسالة الإسلام وتحرير وطنهم من الاحتلال الفارسي
- القبيل العلامة المؤرخ وهب بن منبه الحميري

²⁸-من كتاب العقيدة القومية، كتاب منشور، بصيغة بيدي إف.

- القيل الفيلسوف أبو محمد الحسن الهمداني.
- القيل المؤرخ الناصر نشوان بن سعيد الحميري.
- القيل الناصر ضد السلالة الرسية علي بن الفضل الحميري.
- القيل الناصر مطرف بن مطرف الشهابي.
- القيل الناصر سعيد الفقيه.
- القيل العلامة صالح بن مهدي المقبل.
- القيل العلامة محمد بن علي الشوكاني.
- القيل الناصر علي بن ناصر القردعي.
- كل ثوار ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر.
- كل مفكري الأمة اليمنية و مثقفيها و علمائها الذين نافحوا وواجهوا السلالة و دجلها.
- شهداء معارك المقاومة و الجيش الوطني ضد ميليشيا الإرهاب السلالي الحوثية و على رأسهم القيل حميد القشبي و القيل عبدالرب الشدادى و القيل الشهيد خالد الدعيس و غيرهم من العظماء.
- كل قيل يكرس حياته و جهوده لمواجهة السلالة الكهنوتية المتوردة و ميليشياتها الإرهابية بالقلم أو السلاح أو الإعلام (٢٩).

ب- المراجع التاريخية و الفكرية و السياسية للأقوال

- يرجع الأقوال في أفكارهم و تصوراتهم و قناعاتهم و أدبياتهم للحدود التالية:
- كل الآيات و الأحاديث الصحيحة التي تحدثت عن اليمن و حضارته و مكانته.
- النقوش المسندية.
- الاكليل و كل مؤلفات فلاسفة القومية اليمنية أبو الحسن الهمداني و نشوان الحميري.
- أدبيات ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر

29- المرجع السابق، ص ١٦-١٨.

- مؤلفات الزبيري والبردوني وأمثالهم من رواد الثورة القومية اليمنية
- المصنفات التي كتبها كل يمني حر ليس متأثر بالسلالة المحتلة ودجلها وخرافاتهما.
- مفكري حراك الأقبال وباحثيهم ومنظريهم المعتمدين.
- ما يجمع عليه الأقبال من أفكار وتصورات ومواقف (٣٠).

الفصل الثاني

الوجود القومي والشخصية التاريخية

إن أسوأ ما كسبه جيل اليوم من تأثير ثقافة الغرب المستعلية بعض المفاهيم النفعية الوجودية عن الحضارة والمدنية والدولة، وهي المفاهيم التي حاولت وضع حد فاصل بين الإنسان وماضيه، وتعميق صلة الإنسان بحاضره ومستقبله باعتباره وجوداً كلياً في صيغة الفرد، فليس المجتمع سوى عدد من الأفراد يحققون رغباتهم في نطاق قانون النفعية المشتركة في حاضرتهم.

وكما قطعت المجتمع عن ماضيه فصلته -أيضاً- عن صيغته الاجتماعية باعتباره تاريخاً، حيث افترض (سورين كيركغور) - وهو أحد منظري الوجودية- أن كل فرد - وليس المجتمع أو الدين- مسؤول عن إيجاد معنى لحياته منفرداً، وأن يعيش حياته بشغف وصدق أو بأصالة (٣١).

لقد تأثر كثير من الشباب العربي والشرقي بالمقولات الوجودية النفعية حد أنهم اعتقدوا أن الدولة ليست سوى النموذج الغربي الحديث، وأن ما سواه ليس سوى شكل من أشكال الإقطاع والعبودية، ومن ثم تراهم يقطعون التاريخ ويرفضون نظرية التطور الاجتماعي، فينكرون تأثير الماضي في الحاضر والحاضر في المستقبل، وينادون بأننا أبناء زماننا وحسب، وأن علينا القطيعة من ماضينا لنغدو متحضرين وعصريين! مع أن مجتمعات الحضارة المعاصرة نفسها لم تولد من فراغ وإنما ولدت من ديناميكية تاريخية معينة تفاعلت في عملياتها أمم الشرق والغرب، حتى ولدت الحضارة المعاصرة.

ذات مرة في العام ٢٠١٣م جلست إلى عدد من الشباب المتحمس من خريجي جامعة صنعاء، كانوا يتحدثون عن قيم الحرية والديمقراطية والمواطنة والتقدم إلخ، وكان بعضهم من أعضاء الحوار السياسي حينها في صنعاء، وكانوا يقيّمون المشكلة في اليمن على أنها مشكلة حكم عسكري وقبلي يجمع الحريات ويمارس الإقطاع، وأن الحل في رحيل العسكر والقبيلة عن السلطة!

سألتهم لحظتها سؤالاً ملغزاً، قلت أترون أن اليمن أزم من فيها التخلف منذ أكثر من ١٥ قرناً من الزمن، حيث لم يعد لها حضور مشهود بين الأمم منذ انهيار الدولة الحميرية الأخيرة بموت سيف بن ذي يزن قبيل الإسلام، فما السر في ذلك؟

31- توماس آر فلين، الوجودية مقدمة قصيرة، مؤسسة هندواي ٢٠١٣م.

قالوا بصوت واحد أتريد أن تعيدنا إلى أدغال التاريخ؟ نحن أبناء اليوم ونريد دولة حديثة ولا دخل لنا بالماضي ولا ننتمي له.

قلت أنتم تنكرون ماضيكم المشرق الناصع، بينما غيركم من السلايين الوافدين وميليشياتهم الحوثية يرفضون الجمهورية ويسعون لإعادة حكم الإمامة والكهنوت، لأنهم يعتقدون أن الإمامة والسلطة حصرية في علي بن أبي طالب وأولاده وأنهم أبناء علي ومن حقهم الحكم الأبدي ولا يجوز لأي يمني أن يحكم بلده لأنها إقطاعية إلهية للسلالة الكهنوتية.

صرخ أحدهم بوجهي قائلاً: يا علي تعقل نحن قد اتفقنا مع الحوثيين في الحوار الوطني على دولة مدنية تنهي حكم العسكر والقبائل، والحوثيون غداً سيسلمون السلاح للدولة لأنهم ليبراليون تقدميون يؤمنون بالدولة الحديثة!

قلت: فإذا ما رأيتموهم يدخلون صنعاء ويحتلوها ويعلمون عودة الإمامة وأنهم أحفاد علي ويطالبونكم بالولاية، ماذا ستفعلون؟

قالوا لدينا ضمانات دولية والعالم اليوم يدعم الدولة المدنية في اليمن، ومخرجات الحوار الوطني كفيلة بوجود دولة للجميع!

قلت يا أصدقائي إنهم يستعيدون ماضيهم السلالي الذي يجسد احتلالهم لأرض اليمن بالتحالف مع الفرس تحت دعوى البطينين والولاية وآل البيت، وهي الدعوى التي حرمت على اليمني أن يحكم بلاده أو يبني وطنه وجعلته مجرد عبد للسلالة الكهنوتية، ونحن بحاجة ماسة لخطة تحرر تنطلق من بعث ذاتنا الحضارية اليمنية لتقاوم حالات الاستلاب السياسي والثقافي وتحرر الشعب اليمني من العبودية للسلالة الكهنوتية الطبرستانية الغازية المخادعة للشعب باسم الدين والخرافة.

جاء الرد من أحدهم بشكل قاس حيث قال: لا فرق بينك وبينهم و"عادهم أفضل منك"، أنت تدعونا للعودة لتاريخ عمره خمسة آلاف سنة، وهم يدعون لتاريخ عمره ١٤٠٠ سنة!

لقد كشفت لي هذه المحاججة البسيطة حجم الاستلاب والخديعة التي يعيشها جيلنا اليمني باسم الحداثة والعصرنة والركون إلى الوهم، رغم أن الخطر الظلامي الإمامي كان يرفع شعارات المقابر ويستدعي صراعات الطوائف بجوار مقامهم، ويأكل جغرافيا الدولة مدينة تلو أخرى أمام ناظرهم.

من المفيد أن ننشئ أولاً الإطار النظري لميلاد الشخصية التاريخية، فالمجتمعات من حيث تقسيماتها التاريخية لدى علماء الاجتماع ثلاثة أنواع، (المجتمع الاستاتيكي) وهو الذي لم يعدل معالم شخصيته منذ كان، والنوع الثاني (المجتمع المتحرك الديناميكي) وهو المجتمع التاريخي الذي ولد في ظروف أولية معينة ثم عدل من صفات شخصيته التاريخية طبقاً لتطور تجربته وديناميته، وبين المجتمع

الطارئ الذي لا يزال يتكون اليوم وشخصيته تأتلف من مجموع خصائص شخصيات مجتمعات أخرى مهاجرة أو مندمجة بفعل عامل سياسي معين (٣٢).

فالأول مجتمع بدوي قهرته الطبيعة على حالة واحدة جامدة لا تتبدل، وليس بمقدوره انتاج حضارة لأنه لا يمتلك مقوماتها النفسية قبل مقوماتها المادية، ومثل ذلك بعض القبائل الموجودة في أدغال أفريقيا.

أما النوع الثاني فهو مجتمع الحضارة الذي يطور من مقومات شخصيته الحضارية كلما تقدمت به التجربة التاريخية أو الاكتشاف المعرفي أو التفاعل الديناميكي مع الأمم والحضارات الأخرى، إنه يتأقلم مع الزمن دون أن يفقد خصائصه الأولية الذاتية التي تميزه عن غيره من المجتمعات والأمم. أما النوع الثالث، فتاريخ شخصيته المستقلة لم يبدأ بعد فلا يزال ائتلافاً من مجموع أجزاء شخصيات غيره، ويتطلب قروناً طويلة قد تزيد على ألف عام لتتكون له شخصية تاريخية خاصة به. ويهمننا في هذا التقسيم الحديث عن النوع الثاني وهو المجتمع التاريخي لفحص لحظة ميلاده، وكيف تؤثر في عالمه الثقافي وشخصيته التاريخية في كل مراحلها المتلاحقة، سواء كانت مراحل حضور واستعلاء، أو مراحل ضعف وانحيار وتخلف.

إن المجتمعات تولد كما يولد الإنسان حاملة معها خصائصها وجيناتها الأولية، وإذا كانت الجينات الوراثية تقف وراء تحديد سمات الإنسان ولونه وطوله وقصره ودكائه الفطري وغير ذلك، فإن المجتمع والأمة تتحدد خائصها الأولية من حديث وجودها الحضاري وتأثيرها وأهميتها من خلال العوامل الجغرافية والبيئية والقومية الأولى التي شكلت الوسيط الجيني الذي عبرت منه الأمة إلى الوجود التاريخي.

إن روح المكان كما عبر عنه جمال حمدان في شخصية مصر، هو كلمة السر وشيفرة الإبداع التي تمنح المجتمع والأمة أخص خصائصها، وتفتح عند الدراسة أعماق أعماقها (٣٣) لاكتشاف العلل والمشكلات والظواهر التي حلت بالأمة في مراحل تخلفها، وإن أي خطة بعث لأمة ما لا تستند على دراسة الجغرافيا والبيئة الزمكانية للكائن العضوي باعتباره عضواً ضمن المركب الحضاري العام للأمة في حيزها الجغرافيا الذي ولدت فيه لا تستطيع الوقوف أمام التحديات الكبرى الطبيعية والبيئية التي تواجه الأمم والشعوب في لحظة البعث التاريخي، ويمكن الجزم أن الروح القومية للأمم ولدت معها في لحظات انبثاقها الأولى في التاريخ، وإذا كنا نتحدث عن الأمة باعتبارها كياناً تاريخياً سياسياً واجتماعياً، فإنه من البديهي جداً الإقرار بأن الرابطة القومية للأمة شكلت القانون التاريخي للبقاء والتطور، حيث جسدت الأمم الأولى كلها دون استثناء شخصيتها القومية في صورة نظم سياسية واجتماعية وثقافية خاصة ميزت بعضها عن بعض، ولو كان بمقدورها أن تبتدع صبغة واحدة للحياة البشرية تصبغ بها كل المجتمعات،

³²-انظر مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص ٩.

³³-جمال حمدان، شخصية مصر، ص ١٢.

بحيث يبدو الإنسان مكرراً من بعضه مهما اختلفت جغرافيا نشأته، لَفَعَلَتْ، لكن عوامل الجغرافيا والبيئة أكثر تأثيراً وفاعلية في خصائص الإنسان وتكوينه التاريخي والنفسي والفيسيولوجي من مجرد الرغبات والأيدولوجيا.

إننا هنا نحاول التفريق بين المعتقد الغربي بحدثة النزعة القومية، وبين الروح القومية كقانون تاريخي مؤسس للوجود الحضاري للأمم، ذلك أن فكرة القومية كعقيدة إيدولوجية كانت قد تبلورت عملياً في القرنين التاسع عشر والعشرين في بلدان أوروبية عديدة، كنتيجة نخبوية لصراع سياسي محموم بين الكنيسة والعلم والحرية والدولة الحديثة، حيث كانت الكنيسة في أوروبا تسيطر على المجال السياسي باسم السماء، فلما جاءت الثورة الفرنسية رفعت شعار الفصل بين الكنيسة والدولة، وابعاد رجال الدين عن السلطة، وهنا استعلت الظاهرة القومية باعتبارها بديلاً إطارياً مجتمعياً مشروعاً لفكرة الدولة، بدلاً عن مشروعية الكنيسة كإطار ديني لاهوتي، وعندما ظن بعض المفكرين أن القومية فكرة طارئة في التاريخ، وأنها إيدولوجيا دفاعية بديلة تقيم الاعتبار للروح الوطنية كبديل للروح الكنسية، متناسين أن شعوب أوروبا في حمأة الصراع عادت لتفتش في بداياتها التاريخية لتجيب عن سؤال الهوية.

الحقيقة أن الفرق واضح جداً بين القومية كروح تاريخية ملهمة للذات الحضارية والاستقلال السياسي للمجتمعات والأمم، وخاصة تلك التي تعرضت للاستلاب الحضاري والاستعمار الثقافي، وبين القومية كنزعة إيدولوجية دفاعية تولدت من صراعات النخب التقليدية والحداثية، فهذا المؤرخ والفيلسوف (هانزكون) المختص بالفكر الأوروبي والحركات السياسية الحديثة، لاحظ أن الفكرة القومية في فرنسا ولدت في القرن ١٧ كحركة مناهضة للكنيسة مطالبة بإقصائها، ثم تحولت إلى قومية علمانية حديثة في القرون اللاحقة، لكنها عادت للروح المسيحية البروستانتية بعد ذلك لتغدو أحد محفزاتها أمام روح العولمة، بينما ألهمت القومية بعض الشعوب المجاورة لفرنسا كالشعب الألماني الذي كان مقسماً إلى دويلات عديدة دون وحدة جامعة، فالشعور القومي سرعان ما انتشر لدى الشعوب الجرمانية وأدى إلى وحدتها في نهاية المطاف^(٣٤).

إن القومية باعتبارها روحاً تاريخية ليست إيدولوجيا سياسية، بل هي الوجود الحضاري ذاته لكل أمة من الأمم، وهي القانون الاجتماعي العام الذي أسست عليه الأمم حضورها المشهود في التاريخ القديم، وحفظ لها كياناتها التاريخية عبر آلاف السنين، وإن رفض بعض المثقفين الغربيين الاعتراف بالقومية كوجود تاريخي وحضاري نابع في الأساس من إيمانهم بنزعة التمييز الغربية التي أسندت لها كل خاصية وابداع، وأنكرت أي سابقة حضارية لغير اليونان، متنكرة لتاريخ البشرية وابداعات الأمم، ورغم ذلك نجد باحثين منصفين يعترفون بأن كل ما ابتدعه العقل الغربي كانت خمائره الأولى في التراث الحضاري للأمم الأخرى، ومنهم المفكر الفرنسي (ألان تيسنار) حيث يشير إلى أنه ليس هناك ما يمنع التفكير في

³⁴- هانزكون، فكرة القومية، راسة عن أصول النزعة القومية وخلفياتها، ترانساكشن بوبليشر نيويورك ٢٠٠٧م، ص ٢٢٤.

أن مثل هذه التقاليد الديمقراطية، يحتفل أن تجد جذورها في مجتمعات ما قبل التاريخ، وذلك لتوافر معطيات أثرية تسمح بالقول إنه في فترة ما بين ٤٨٠٠ و ٥٥٠٠ سنة قبل الميلاد، كانت هناك شعوب تسهم في اتخاذ قرارات جماعية^(٣٥).

لقد انبثقت الأمم التاريخية من روح القوميات التي جمعت شتاتها وعناصرها، فالقوميات في الأساس هي الروح الجمعية التي وحدت عناصر الأمة في مجتمع واحد تسمت به، وظلت تتطور معه من حال إلى آخر عبر عامل الزمن والابداع، فقبل الأمة القحطانية والأمة السبئية وأمة التبابعة، والأمة الحميرية والأنصار الذين قادوا الفتح الإسلامي، وهي بكل مظهراتها الزمنية تعبير صادق عن حقيقة وجودية واحدة هي حقيقة الروح القومية للأمة اليمنية، تلك الروح التي شكلت متواليات من الاندفاعات التاريخية المتماثلة بنفس المقياس وذات اليقين التاريخي، بلغت بحضورها الأخير في نشر رسالة الإسلام وفتوحاته حيث بلغت في اندفاعها الأولى في عصر التبابعة، أقاصي جنوب فرنسا واليونان وأقاصي الشرق وجنوب أمريكا، دلت عليها في الأولى نقوش المسند السبئي الحميري الماثورة في الآفاق، ودلت عليها في اندفاعها الأخيرة قوافل الفاتحين من القادة والجنود ممن استوطنوا الأصفهان، وأنسلت منهم الأعراق والمجتمعات، وفي مراحل الكمون والتخلف حفظت للأمة اليمنية كينونتها التاريخية من عادات الزمن، ومحاولات الاستلاب والتدوير والتمزيق، فعلى مدى ١٤٠٠ عام من سياسة إبعاد اليمنيين عن حكم بلادهم والاستقلال بوطنهم، وتغذيته بالطائفيات والسلاليات والاستعمار، ومحاوله تفكيك جغرافيته إلى دويلات تحمل غير مسماه التاريخي، رغم هذه التحديات ظلت الروح القومية للأمة اليمنية، وهي في لحظة كمون تاريخي طويل المدى، محتفظة بمخامير الأمة اليمنية وخصائصها الجغرافية والنفسية والسياسية، فاليمن في لحظة اختيار الحضارة الحميرية واستسلامها للكمون، هي ذاتها اليمن الآن بعد قرون من الدويلات الطائفية والمذهبية والاستعمارية التي ظهرت بمسميات مختلفة وانهارت كأن لم تكن لتبقى اليمن بخلفتها القومية كما ولدت في التاريخ أول مرة.

إن العلاقة بين الحضارة والروح القومية للأمة كعلاقة الجوهر بالمظهر الخارجي، فالحضارة بعناصرها ومكوناتها ونتائجها الثقافي والمعرفي والتقني، ليست سوى مظهر خارجي لروح الأمة التي أبدعتها، وحتى حينما ندرس التراث الحضاري المعرفي والتقني للبشرية باعتباره منظومة ديناميكية تفاعلية متحركة مع حركة التاريخ بين الأمم، فإن الملاحظة الأهم التي تواجهنا -بحسب ما سجلها الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون- هي وجود اختلافات جوهرية بين عناصر الحضارة وخصائصها ونواتجها الثقافية والتقنية من أمة إلى أخرى، مع ملاحظة حالة تقارب نسبي في مسألة الفنون وحدها، قد يعزى لاستجابة الأمم للذائقة الجمالية دون تحسس، وما عدا ذلك يظهر تفاوتاً كبيراً في النظم السياسية والاجتماعية والطرز المعماري

³⁵- الان تيسنار، قبل التاريخ تطور المجتمعات الإنسانية، غاليمار - باريس- ٢٠١٢م، ص ٣٠٧.

والاهتمامات الدينية، وأساليب الزراعة والصناعة ورؤية الحياة وما بعد الموت، ومنظومات القيم والقوانين والعبادات، وغير ذلك مما يميز شخصيات الأمم عن بعضها، ويصبغها بصبغة الاستقلال الذاتي والتفرد الحضاري^(٣٦).

وإذا كانت الحضارة كموضوع وقيمة تشكل مظهراً ابداعياً للروح القومية للأمة، فإن المدنية بالضرورة ليست سلوك التقليد الثقافي للأمم المتحضرة، فهذا المسلك السخيف ليس سوى صورة من صور اغتيال الذات، وهي ليست الحشد الاستقصائي لمنتجات وأشياء حضارة مختلفة، فهذا المسلك الشبهي ليس سوى صورة من صور الاستهلاك الغرائزي الذي يقتل دافع التحدي ويحفر غريزة الاشباع، ولكن المدنية الحقيقية هي التي تدعها الروح القومية من خلال استجابتها للتحدي الحضاري، وقدرتها على تجاوز عامل اختزال الذات الحضارية للأمة، وهنا تغدو مهمة بعث الذات الحضارية أولوية قصوى في خطة البعث التاريخي، إذ لا يمكن لأمة أن تتحرر من الاستعمار والاستعباد والتخلف والاستلاب، فضلاً عن اقتدارها على الاستفادة من الآخر في ظل ذات مشتتة تتقاذفها أمواج من وحل الهويات الوافدة، ولا في ظل شخصية مزيفة مؤلفة من حشد من الأفكار والخرافات الوافدة.

إن الشخصية التاريخية لمجتمع الحضارة مهما كان تخلفه وانكساره، ليست حصيلة ثقافة الاستلاب والاستسلام، ولا نتاج سلوك القابلية والخنوع والزنبلة، أو النقل والتقليد، بل هي الروح القومية الأصيلة المنكفئة في اللاشعور الجمعي التي تحفظ الإنسان اليمني في لحظات الاختبار التاريخي البائس، من الذوبان في غيره، وتدفع به إلى الاعتزاز بحضارته وذاته، والانتماء لأجداده ماضيه العتيق، والتمسك بهويته والدفاع عن تراثه، وتمجيد أسلافه، والعودة لماضيهم الحضاري المشرق للبحث عن حيلة لاستئصال علة التخلف.

إننا حينما نرى السلايين الكهنة المتوردين في وطننا وبدعم استعماري يحشدون شباننا وأمتنا اليمنية العظيمة لقتال شعبهم وأمتهم وهدم المدن والقرى نصاب بالحسرة والأسى، وأحياناً يداهننا يأس قاتل بأن مجتمعنا تعرض لمسخ كبير لعقله ووعيه فأصبح عدواً لذاته وحضارته واستقلاله، لكنك تفاجئ حينما ترى هؤلاء الجهلة المغرر بهم أنفسهم يغضبون إذا ما هاجم متورداً ما أجدادهم السبئيين والحميريين بناء الحضارة، ما يعني أن خمائر الروح القومية للأمة اليمنية لا تزال مشعة، رغم دفنها تعمداً طوال ما يزيد على ألف عام تحت ركام التخلف والخرافة السلافية والثقافة المذهبية الزائفة.

إن هذا الاختبار البسيط الذي قد يتكرر أمام ناظرينا بشكل مستمر يمنحنا استنتاجاً هاماً في سياق البحث عن فكرة الخلاص والبعث، إذ تصبح أولوية الشخصية التاريخية للأمة اليمنية حتمية بعث واستراتيجية ثورة، ذلك أن إعادة انتاج مقومات الشخصية التاريخية للأمة ستكون بمثابة الطارق

أفرد الفيلسوف الفرنسي غوستاف لوبون بهذا المعنى فصلاً كاملاً في كتابه الأسس النفسية لهيضة الأمم، تحت عنوان، عناصر الحضارة مظهر خارجي لروح الأمة، انظر الكتاب ص ٥٦-٦٢

الشديد الذي يوقظ العقل اليميني من سبات الجهل والغفلة، ويزيل عن شخصيته المعاصرة المتأرجحة بين القابلية والاستلاب والخنوع والتبعية غشاوة الاستكانة، وسيدب في الجسد المريض شعور الاستنهاض، فتتحول الروح المستكينّة الخائفة إلى روح ثورية تنشد الوعي والاستقلال والكرامة، حينها لن يجد السلاليون الكهنة من المغرر بهم والجهلة من يقاتل معهم أبناء جلدتهم ليمنحوه خرافة الشفاعة ولقب النصير، وبركات أكذوبة آل البيت، وسينفجر الشعب في وجه الكهنوت السلالي المحتل كبركان نائر، فتحترق كل أفكار الخرافة وينكشف كل الزيف والدجل والشعوذة.

• اختلاف أنماط الاستجابة التاريخية تبعاً لاختلاف الروح القومية والشخصية التاريخية

ثمة شبهة كبيرة يكثر ترديدها في المجتمع اليميني والعربي والإسلامي بشكل دائم، مفادها أن الإسلام ألغى خصوصيات الشعوب العربية والإسلامية ودمجها في خاصية موحدة هي خاصية المعتقد والسلوك الديني!

الحقيقة أن مثل هذا القول ينم عن جهل صاحبه بالتاريخ القومي للبشرية وطبائع الأمم وأنماط استجابتها للرسالات السماوية والأديان وحتى النظريات والأفكار، طبقاً لموجهاتها القومية وعناصر شخصيتها التاريخية، ولا يعني ذلك أن الأديان والرسالات يتم استبدالها وتحريفها، ولكن لدى كل أمة في تكوينها الثقافي والنفسي آليات وطرائق خاصة للتعامل مع الخطاب الديني، فعلى سبيل المثال تتفق الأديان كلها في فكرة التوحيد وأن الإله الخالق واحد، ولكنها تختلف اختلافاً جوهرياً في تسمية الإله الأوحد، وتفسير معنى التوحيد والوحدانية، وبعضها يجر مفهوم التوحيد إلى الوثنية، والبعض الآخر إلى الشرك، وثالث إلى التأليه للبشر من خلال فكرة الغنوصية أو الاتحاد والحلول، وهكذا إذا ما ناقشت علماء وفقهاء هذه الأديان حول مسألة التوحيد فسوف يؤكدون إيمانهم بالإله الواحد، ولكن طرائق تمثيل هذا الإله وتوحيده متشعبة بحسب التكوين الثقافي والتاريخي للشخصية القومية لكل أمة.

منذ القرن الثالث الميلادي أصبحت الديانة المسيحية هي الديانة القومية لكل شعوب أوروبا، لكن مسيحية شرق أوروبا الأرثوذكسية اختلفت كلياً عن مسيحية غرب أوروبا الكاثوليكية، والمذهبان اختلفا جذرياً عن مسيحية الشرق العربي في صورتها النسطورية وهذه الأخيرة كانت إحدى المذاهب الكنسية الموجودة في نجران في القرن الخامس والسادس الميلادي (٣٧).

وحينما بعث النبي محمد (ص) اختلفت استجابة القبائل والشعوب العربية لرسالته بشكل جذري، فبينما أجمعت قريش على قتله (ص) وتوزيع دمه بين القبائل، سارعت إليه قبائل الأوس والخزرج اليمانية لتطلب منه الهجرة إلى ديارها في يثرب، وتبايعه على النصر والمنعة والقتال معه دون أي مقابل سوى

37- انظر الفرح، الجديد في تاريخ سبأ وحميز، ج ٢، ١٠٣١.

نيل شرف الإسلام والصحة، هذا السلوك ذاته اختلف لدى قريش بعد فتح مكة، فحينما رأت قريش أن ملك الرسول (ص) يثرب صار عظيماً أكبر من ملكها بمكة، هرعت للإسلام جماعات، ولم تتوقف عند ذلك بل لحق رجالها بالنبي (ص) في المدينة، وصاروا يزاحمون على الغنائم والفيء والمكانة السياسية^(٣٨)، بينما ظل سلوك الأنصار من الأوس والخزرج ثابتاً ومستقراً دون تحول، وإذا ما قمنا بفحص دوافع استجابة قريش بتلك الطريقة للرسالة النبوية، ودوافع استجابة الأنصار من أهل يثرب، سنجد أن قريشاً كانت تشكل بيئة إقطاع استغلالي يسترزق من وراء الأفكار الدينية بما فيها فكرة الإله وتعدد شركائه، فكانت تحشى على تجارتها وأموالها التي تجنيها من وراء بيع الأفكار الزائفة، ولكنها قبلت التنازل عن شخصيتها الأولى يوم الفتح وإعلان اسلامها عندما رأت ملكاً بيد الرسول (ص) أعظم مما بيدها، بينما كان الأوس والخزرج يمثلون بقايا حضارة يمنية مندثرة هي الحضارة الحميرية، ويبحثون عن فكرة دافعة لإعادة انتاج الروح القومية التاريخية للأمة اليمنية لتجدد دوافعها النفسية لوثبة تاريخية جديدة، ولهذا لم يشترطوا لأنفسهم شيئاً.

بينما نرى شكلاً ثالثاً من أشكال الاستجابة مختلفاً كلياً عن سابقه يتجسد في سلوك شيخ عربي من قبائل شمال الجزيرة، من بني حنيفة، فبعد سماع الرجل كلام الله تعالى والرسول (ص) يتلوه على أصحابه، أقبل ناحية الرسول (ص) يساومه بأن يحميه من قريش على أن يكون له الملك من بعده^(٣٩). ولننطلق الآن أبعد قليلاً من الاستجابة لدعوة النبي (ص) لنفحص التمثل السلوكي للإسلام لدى عدد من الشعوب والأمم التي انضوت تحت رايته في عصر النبي والخلفاء، ولنختار مثلاً قريش وفارس واليمن ونلاحظ الفرق في تمثّل الإسلام وفهم رسالته.

ببساطة سنجد أن الإسلام في الوعي القرشي يتحول إلى مشروع سياسي حدوده القبلية والسلالة، وتنصب كل الجهود الدينية والتنظيرات القرشية أو المدعومة قرشياً في العصرين الأموي والعباسي على خلق مسوغات دينية وتاريخية كافية لتثبيت وتأييد سلطة قريش السياسية (قرشية الخلافة) على حساب جوهر الدين والرسالة السماوية، ومنها على سبيل المثال أحاديث الخلافة في قريش والإمامة في بني هاشم^(٤٠)، وعلّة ذلك هو البيئة الثقافية القرشية التي كانت حاكمة لشخصية قريش القومية الابتدائية قبل الإسلام، أي الشخصية التي كانت حدودها وأفاقها المنافسة بين أحلاف القبيلة والأسرة ممثلة في حلف

38 - انظر الجابري، محمد عابد، تكوين العقل السياسي العربي، ص ٧٠-٩٥.

ابن هشام: السيرة النبوية ١/٢٤٤، والطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢/٣٤٩، وابن حبان: السيرة النبوية ١/١٠٢، والذهبي: تاريخ الإسلام ١/٢٨٦، وابن كثير:

39 - البداية والنهاية ٣/١٧١، والسيرة النبوية ٢/١٥٧.

أحاديث الخلافة في قريش والإمامة في بني هاشم بدأت من المنافسة السياسية في سقيفة بين ساعدة بعد موت النبي(ص)، حيث رووا أن أبا بكر الصديق قال: "إن هذا الأمر في قريش"، فاتخذ البعض حديثاً ثم أضيفت إليه أحاديث ومرويات سياسية كثيرة تارة تجعل السلطة في قريش وتارة تنسبها لبني هاشم والعلويين، وهي في مجملها صنعة سياسية تجسد حالة المنافسة التي بدأت بين قريش والعرب وخاصة اليمنيين ثم ختمت بين قريش الأموية وبني هاشم، ثم بين الهاشميين أنفسهم العباسيين والعلويين، ثم بين العلويين أنفسهم اسماعيلية وزيدية وجارودية اثني عشرية، وقد سائر فيها الفقهاء السلطان من جيل لجيل، لأن التاريخ الإسلامي كله صار في موكب قريش القبيلة أو قريش الأسرة، ولم يخرج عنه إلا حينما خرجت السلطة باتجاه الأتراك من بني عثمان، وقد 40 - جمعها الماوردي في الأحكام السلطانية وابن خلدون في التاريخ وكثير، فقرشية الخلافة لا تزال معضلة المعضلات في تاريخ العرب حتى اللحظة.

المطيين بني هاشم، وحلف لعقة الدم الذي كانت تمثله أغلبية قريش ضد بني هاشم، وبذلك التحوير الأيديولوجي القبلي والأسري للإسلام، ظلت قريش تنتج الصراعات والحروب في المجتمع العربي حتى اللحظة.

أما في بلاد الفرس وإيران حالياً فقد هبط الفتح الإسلامي عليهم بصيغة الإكراه بعد سقوط دولة كسرى وابنيه شيرويه ويزدجر تحت سيوف العرب، ومن ثم وجدت العناصر الفارسية نفسها أمام خيار الإسلام أو الجزية أو الحرب فأظهرت الإسلام، لكنها ذهبت لإنتاج عناصرها الثقافية والقومية في العقيدة الإسلامية والثقافة والتاريخ الإسلامي، فظهرت دعوات التصوف الباطني والتشيع الباطني، وكلاهما صورة منقولة عن الثقافة المانوية الفارسية القديمة التي كانت تمثل خليطاً من أفكار الغنوصية المسيحية والهرمسية الزرادشتية والكانابالا اليهودية، مغطاة بثوب الإسلام الشيعي والإسلام الصوفي، أي أن الروح الفارسية المانوية عكست نفسها من خلال الإسلام بصور شتى (٤١).

وإذا ما عدنا للشخصية اليمنية واستجابتها للإسلام بعد موت النبي (ص)، سنجد مظهرين بارزين يسمان ملامح الروح القومية للأمة اليمنية في لحظة شتات، المظهر الأول: حلم التحرر القومي واستعادة المجد التاريخي، وهذا يجسده ثورة الأقيال من الصحابة الكرام ضد سلطة الفرس في صنعاء في عهد أبي بكر، ومحاوله بعض النخبة اليمنية بناء دولة مستقلة لليمن في عهد الدولة الأموية والعباسية، يقابله إصرار خلفاء قريش بشكل قاطع على منع اليمنيين من حكم بلادهم، وقمع أي ثورة في اليمن خوفاً من استقلالهم عن الدولة القرشية.

وأما المظهر الثاني لاستجابة الشخصية القومية فهو مظهر الخروج في الفتوحات بكثافة، وتحول أرض الفتح إلى موطن جديد للفتاحين، وهذا المظهر السلوكي للشخصية اليمنية يعكس تكوينها التاريخي الأول كشخصية قومية ذات حضارة علمية اعتمدت على الانتشار والغزو والفتح والهجرة وتكوين المدن والحضارات البعيدة كجزء من المهمة التاريخية للروح القومية الحضارية الأولى في تاريخ البشرية.

ونختتم في هذه الجزئية بإلقاء نظرة بسيطة على المجتمع الهندي المسلم، حيث يعمل مفهوم التعدد الثقافي والديني عمله في تعدد وضع الآلهة ذوي الكرامات، فالرسول (ص) وصحابته والتابعين ونسلهم وفقهاء المسلمين وأهل مكة والمدينة في التاريخ الإسلامي في الهند يصبحون شبه آلهة تصرف لهم العبادة ويطلب منهم النفع والضر، كما يفشل مبدأ المساواة الذي جاء به الإسلام تماماً في بيئة الهند فيصبح جزءاً من مسوغات الطبقة البراهيمية القديمة (٤٢).

الفصل الثالث

حقيقة الاستلاب الحضاري

• مفهوم الاستلاب الحضاري

السلب في معاجم اللغة العربية يعني النهب والاختلاس لمقدرات الغير وممتلكاته، يقال: سَلَبَ الشيءَ يَسْلُبُهُ سَلْبًا وَسَلْبًا وَاسْتَلَبَهُ إِياه أي اخذ ما معه، قال اللحياني الاستلابُ الاختلاس والسَلْبُ ما يُسَلَبُ، وفي التهذيب ما يُسَلَبُ به والجمع أسلابٌ، وكل شيءٍ على الإنسان من اللباسِ والسلاح فهو سَلْبٌ، والفعل سَلَبْتُهُ أسْلُبُهُ سَلْبًا إِذا أَخَذْتَ سَلْبَهُ منه عنوةً، وسَلَبَ الرجلُ ثيابه قال رؤبة: يراع سير كاليراع للأسلاب، واليراع القصب والأسلاب التي قد قشرت لتستخدم في ربط الدابة وواحدُها سلب (٤٣).

والسَلْبُ عادة عند العرب هو ما يأخذه أحدُ القَرْتَيْنِ في الحربِ من قِرْنِهِ مما يكونُ عليه ومعه من ثيابٍ وسلاحٍ ودابَّةٍ ومالٍ، وهو فَعَلٌ بمعنى مفعولٍ أي مَسْلُوبٌ والسَلْبُ بالتحريك المسْلُوبُ وكذلك السَلْيِبُ، ولكنه يطلق -أيضا- على من فقد عقله أو صار بلا قرار مسير من غيره، فيقال: رجلٌ سَلْيِبٌ ومُسْتَلَبٌ، أي بلا قرار، وسليب العقل أي المجنون (٤٤).

ويعدّ مصطلح الاستلاب أحد أكثر المفاهيم استعمالاً وتداولاً في الخطاب الفلسفي المعاصر، وهو يقابل الكلمة الإنجليزية «**Alienation**»، التي ترجع إلى اللفظ اللاتيني «**Alienatio**». واستخدام المصطلح بمعنى اغتراب الإنسان عن ذاته، من خلال انصهاره في واقع غريب عنه، أو من خلال شعوره بالانفصام عن هويته وبيئته، وفي ميدان الاقتصاد استخدم بمعنى اغتراب الإنسان عن قيمة ومنتوج عمله الذي سلب منه (٤٥).

تناول ماركس الظاهرة في ميدان الاقتصاد بالتفصيل حيث رأى أربعة أشكال من الاستلاب يتعرض لها العامل، هي: انفصال العامل عن منتجات العمل، التي لا تعود ملكيتها للعامل بل لأرباب رأس المال، حيث توضع حياة العمال بالكامل في صناعة أشياء لا يملكونها، وبداخل نظام لا يملكون السيطرة عليه، فيصبح جهدهم ذاته سلعة تؤخذ منهم وتباع، مثلها مثل الأشياء التي ينتجونها، والانفصال داخل عملية الإنتاج نفسها، حيث يدخل العامل في مهنته داخل قيود العمالة بالأجر، وليس لإشباع رغبة حرة؛ بل لإشباع رغبات مستقلة عن العمل نفسه، ونتيجة لذلك لا يصبح العمل عملية مشبعة للذات، بل يتحول إلى شر لا بد منه (٤٦).

⁴³- انظر لسان العرب لابن منظور.

⁴⁴- المرجع السابق، ص ٤٧٢

⁴⁵-رامي ابو شهاب، لاستلاب والتطور الطبيعي للحضارة... منظور ثقافي، صحيفة القدس العربي، ١٣ سبتمبر ٢٠١٧.

⁴⁶-انظر ماركس، رأس المال ج ٢، ص ٣١٧-٣٢٤

لعل مفهوم الاستلاب لا يتعد عن عبارة السلب والنهب بمعنى السرقة، غير أن هذا المصطلح في القراءة الثقافية يأتي متقاطعاً مع ممارسات منها الخضوع والاستعباد، والمعنى الأخير يحملنا إلى ممارسة اجتماعية ثقافية سائدة عبر التاريخ، فالإنسان لطالما سعى إلى إخضاع الآخر، الذي يعني الضعيف، فلو كانت القوة مجالاً سائداً لا متنحياً في الآخر، لما تحقق هذا الوصف، أو للاستلاب، الذي يتمظهر في عدة مظاهر، تتراوح بين المادي والمعنوي، فلا جرم أن يشير ريموند وليامز إلى نطاقاتها المعرفية التي تشمل النظرية الاجتماعية والاقتصادية والفلسفة وعلم النفس^(٤٧).

وفي السياق المعرفي يقاتل هيجل ضد فكرة الاستلاب السفسطائي التي ادعاها بعض الفلاسفة بالقول إن المعرفة منفصلة تماماً عن الذات سواء الذات المعرفية أو الذات الحضارية، فينتقد كتابه (فينومينولوجيا الروح) الأبستمولوجيا التقليدية التي لم تقدّم حلاً للمعضلة، وتحديدًا معضلة معرفة الذات (subject) للشيء (object). إن هذه المعضلة تقوم على الفصل ما بين الذات المعرفية والشيء المعرفي، مما يسمح للأبستمولوجيا التقليدية بالشك في معرفة الذات للشيء، وهذا ما يُعرف بالشكوكية (skepticism)^(٤٨).

إن الاستلاب الحضاري للمجتمعات عامل رئيس في اندثار حضارتها وانطماس وعيها بذاتها، فعند تتبع مصطلح الاستلاب ودلالاته ثقافياً ونفسياً نجد يتجاوز مفاهيم الإقصاء، والإبعاد، والإلغاء والتهميش ونزع الحرية والكرامة ومصادرة الحقوق والملكية والاستقلال وانتهاك الخصوصية والاعتداء على الشخصية، أي أن ثمة قطيعة تتخلل الإحساس والشعور النفسي تجعل الإنسان الذي مورست عليه سياسة الاستلاب فرداً أو مجتمعاً يستشعر غيريته وغريته عن ذاته، وهنا ينبثق الوعي ليمارس سطوته، حينها يحاول الضحية أن يقوم بفعل عكسي من قبيل الانتقام أو الرفض أو الثورة، فإذا ما انكسر رفضه وثورته عاد لينتقم من ذاته بتفتيت أجزائه، ومن هنا فقد صارت مؤسسات المجتمع المدني، والأجهزة التشريعية والتنفيذية في عالمنا المعاصر تدرك أن الاستلاب يعدّ من أهم أسباب الانهيار المباشر للدولة، كما هو السبب المباشر لتفسخ معنى العقد الاجتماعي القائم بين الدولة والمواطن^(٤٩).

وإذا كانت سياسة الاستلاب تذهب لمحو شخصية الإنسان وذاته وحرية ومصادرة حقوقه واستقلاله، واستبداله بمسخ مقلد، فإنها على المستوى الاجتماعي تعمل على تعطيل الروح القومية للأمة، وسلب شهوة الحضارة لديها من خلال تعطيل (الطاقة الحيوية)، فيتسبب ذلك في أن تسلك الذات المستلبة مسلكين: أحدهما استعادة شعور المقدس واعلائه على الذات من قبيل التعويض النفسي، وهو

47- انظر، وليامز ريموند، الثقافة والمجتمع، تعريف الاستلاب.

48 - Suchting, W. A. Marx and Philosophy: Three Studies. Macmillan, 1986.

49- انظر، فروم، أريك، مفهوم الإنسان عند ماركس، ترجمة سيد رصاص، ط ١، دمشق، دار الحصاد، ٦٣-٦٧.

ما فعله أجدادنا اليمينيون حينما استعاضوا بالهجرة والفتوحات عن مطلب الاستقلال السياسي أو المنافسة على السلطة المركزية لدولة الخلافة.

والثاني تقليد بديل لرغبة جزئية أقل شأنًا من الاستلاب، وهو ما يطلق عليه وليامز جزءاً من الثمن المدفوع للحضارة. أو ما أطلق عليه "هيجل" مفهوم "الروح ذاتية الاستلاب" (°)، وهذه الصورة ماثلة تماماً في القبيلة اليمينية في مناطق شمال اليمن، فإنها حينما قهرت على حريتها واستقلالها في حروبها مع الإمامة الرسية والجيوش الطبرية الغازية في القرنين الرابع والخامس الهجري، وتواطؤ الولاة العباسيين تعرضت لاستلاب ذاتي ثقافي وهوياتي عبر نشر ثقافة المذهبية السلالية بالقوة، حينما قبلت بفكرة الغزو والتصالح مع الإمامة لغزو باقي مناطق اليمن مقابل شيء من الفيد وأن تظل السلطة القبلية رديفة للسلطة الكهنوتية السلالية، وهو في ذات الوقت نوع من الانتقام من الذات نتيجة للشعور بالخذلان. ويختلف مفهوم الاستلاب عن مفهوم الاغتراب اختلافاً جذرياً رغم أن البعض يجعلونهما بمعنى واحد، غير إن الاستلاب في الحقيقة أشد وأنكى على الأمم والشعوب والأفراد من الاغتراب، لأن الاغتراب يصف حالة نفسية شعورية أو لا شعورية تعني شعور الانسان بالغرابة عن المجتمع الذي يعيش فيه، أو تعلقه بمجتمع آخر غريب عن المجتمع الأصلي الذي نشأ فيه، وفي الحالة الأولى يكون مظهره الانكفاء والعزلة وتبلد الاحساس، وفي الثانية الانبهار والتقليد.

لكن الاستلاب أبعد من ذلك كله إذ يعني هدم مقومات شخصية الإنسان أو المجتمع أو الأمة بشكل كلي، واستبدالها بمقومات شخصية أخرى غريبة تهدف للسيطرة عليها، وفي السياق الحضاري يعني الاستلاب هدم أو نزع مقومات أمة ذات حضارة مستقلة، وإلباسها هوية أمة أو جماعة غريبة عنها تمارس عليها الاحتلال والوصاية.

● أنماط الاستلاب الحضاري

يحمل مفهوم الاستلاب الحضاري دلالة تشير إلى الانسلاخ من الذاتية الثقافية والحضارية والخضوع لتبعية الآخر، ويكاد يكون هذا المعنى هو المدلول الوحيد الذي يستعمل به المفهوم في سياق علم السياسة والسوسيولوجيا، فمدلوله العام يعني التبعية للآخر باستمداد مفاهيمه ورؤاه وتقليد شخصيته، والاستلاب الحضاري متعدد الأوجه والأنماط، ولكن مظهره العام هو الاستعمار والاحتلال بأشكاله المتعددة سياسياً أو عسكرياً أو ثقافياً، وأشد أنواع الاستلاب الحضاري ذلك الذي يسوغه الفكر الديني وخاصة إذا ما

- 50 -

الخاصية الرئيسية التي تميز فلسفة هيجل هي: الفكرة، والفكرة كما يراها هيجل، هي "المطلق والمطلق هو الذات الكلية التي تنظم كل شيء. فالأشياء ليست إلا تطوراً ونموً دياكتيكياً عن الفكرة الأصلية. وهذه الذات الكلية هي عينها الفكرة. مما يعني أن التصور لدي هيجل وكلمة البيجريف بالألمانية تعني الشمول أو الإدراك الشامل. وبالتالي، فإن كلمة التصور تعني الشمول والكلية تعني معرفة الذات أولاً لأن ذلك هو الضمان الحقيقي للإدراك الواعي بعيداً عن الاستلاب، انظر عبدالرحمن بدوي، فلسفة هيجل، ٥٧٩.

كانت الأمة موضع الاستلاب تدين بنفس الديانة في مراحل ضعف وتخلف، إذ يمارس عليها الاختزال والاستلاب وهدم مقومات شخصيتها الحضارية باسم السماء، وتحت دعوى أنه مطلب ديني عقدي لانتقالها إلى وضع آخر، ولقد مارست بعض الأمم سلوك الاستلاب الحضاري على غيرها من هذا القبيل فأصابتها بإعاقة نفسية تاريخية لم تتشافي بعدها البتة، ولعل في بعض شعوب أفريقيا نموذج لحالة الاستلاب التي مارسها الرومان ثم الحضارة المعاصرة على القارة السمراء طيلة ما يربو على ألفي عام.

وبالمثل الأمة اليمنية التي مورست عليها سياسة الاستلاب الحضاري منذ ما قبل الإسلام من خلال محاولة الرومان عبر الأحباش جعل اليمن مرتعاً للثقافة الكنسية، وما تلاها بعد ذلك من سياسات قرشية وسلالية خلال العصر الإسلامي عملت على إبعاد الإنسان اليمني كلياً عن ذاته الحضارية، واقناعه بضرورة التخلص من روحه التاريخية والتسليم بالانصهار في الشخصية القبلية والثقافة الصنمية والسلالية للمجتمع القرشي.

وللاستلاب الحضاري أشكال متعددة منها ما يتصل بالوعي ومنها ما يتصل بالتاريخ والهوية ومنها ما يتصل بالاستقلال السياسي والثقافي، ومنها ما يتصل بالشكل المادي التكويني للمجتمع ومقوماته، ونحن هنا لا نريد الاحاطة المعرفية بها، وإنما الكشف الجزئي على سبيل الإشارة عن أبعاد السياسة الاستلابية التي مورست في حق الأمة اليمنية طوال العصور الوسطى والحديثة والمعاصرة، وما تقوم به ميليشيا الإرهاب الحوثي اليوم من تدمير ممنهج للذات والهوية والعقل والثقافة والتعليم والوطن والنسيج الاجتماعي والمؤسسات الاجتماعية والمؤسسات الوطنية، وآثار هذه السياسية العدوانية التدميرية التي لحقت بالشخصية اليمنية فأفقدتها قيم الوعي والحرية والكرامة والاستقلال والذاتية والقدرة على الابداع والتطور، وأكسبتها أمراض القابلية والتبعية والارتعان والجمود والانغلاق والتقليدية والصنمية والتحلل الذاتي، وفيما يلي إشارات مختصرة لمظاهر الاستلاب التي مورست بحق أمتنا اليمنية، بشكل مختصر ما يتناسب وطبيعة هذا الكتيب:

أ- الاستلاب المعرفي

الاستلاب المعرفي عملية قصرية وسياسة استعمارية تقوم بها القوى المستعمرة لتجهيل الشعوب المستعمرة ليسهل التحكم فيها واستغلالها، وهي تمر عبر ثلاث مراحل: الأولى تبدأ من الفصل القسري للمجتمع الواقع تحت سلطة الاستلاب عن عقله التاريخي الواعي وخبراته المعرفية المتراكمة، بإنكار ذلك الموروث وتشويه صورته الذهنية بجعله منكراً ومستقبلاً ومدممة.

ثم تأتي بعدها المرحلة التالية وهي نقل المجتمع إلى الثقافة الوافدة المستغربة عنه عبر عملية قسرية تقوم على الترغيب والترهيب بتشجيع ظاهرة الانفصال عن الذات واستبدال الذات بصورة الآخر الوافد، والبطش الشديد بكل طريقة أو فكرة أو شخص يرتبط بماضيه وتراثه، مع ممارسة التغييب الكلي لذلك الماضي وقيمه ومثله، عبر تدمير مصاديقه الحسية والمعنوية من حياة المجتمع.

أما الثالثة: فهي إقامة واقع صمني جاهلي بديل ومزيف، بعوامله النظرية والثقافية والشخصية والمادية، وإلباسه ثوباً خادعاً من القداسة الدينية الزائفة، وتصديره للمجتمع والأمة كنموذج مثالي جديد هو شرط انتقالها إلى الواقع الجديد والحياة المتغيرة، سواء كانت دينية أو سياسية.

وفي هذا المستوى من الاستلاب القصدي الذي تمارسه قوى الاستعمار على الأمم والشعوب تعمد لانتاج عوالم متداخلة من الفوضى في مستوى الأفكار والقيم والأشخاص، بهدف اغراق العقل الاجتماعي المستلب بالقابلية والتناقض، ليتمكن المستعمر الغازي من سحق أجيال المجتمع ببعضها، من خلال الزج بها في صراعات خلف أفكار ورايات وعقائد وخليط من خرافات وايدولوجيات تغذي حالة التناقض، وتستندوم الجهالة والتبعية وسلوك التلقي.

وللاستلاب المعرفي ظواهر متعددة تناو لها الباحثون والفلاسفة فهيجل يعرف الاستلاب المعرفي: بأنه انغماس الوعي في الطبيعة بحيث يفقد الوعي حريته، وهو ينقد بذلك النظرية الحسية ونظرية التجريب اللتين ألغتا فكرة التاريخ، أما فيورباخ فيحدد معناه في ارتحال الوعي إلى الما وراء بسبب أفكار التدين التي تلغي العقل والعلم والواقع وتقيم الخرافة والاسطورة بدلاً عنهما، وتطالب المرء بالتسليم لما لا يقبله المنطق بدعوى أن الوعي ليس خاصية للإنسان العاقل بل سلطة للدين المهيمن على الإنسان^(٥١)، وهو بهذا يرد على كهنوت الكنيسة الغربية وأفكارها.

بالعودة إلى واقع أمتنا التاريخي والمعاش خلال ما يربو على ألف عام، نجد صورة مختلفة جداً للاستلاب المعرفي لم تكن نابعة من تخلف الذات فحسب كما هي في المجتمعات الأخرى، بل نتيجة سياسات قصدية مورست في حق أمتنا اليمينية فصلتها عن تراثها المعرفي، ونقلتها إلى واقع مصنع من الخرافة والصنمية والتدين المزيف والأدلجة المحملة بنزعة الاستعمار.

تشكلت البداية الأولى من لحظة فصل الأمة اليمينية قهراً عن ماضيها الحضاري وتراثها المعرفي، بادعاء أنه ماضٍ جاهلي، والحكم بالكفر بالوثنية على ما يتصل بحضارة ما قبل الإسلام بكل امتداداتها التاريخية، والحكم بالكفر والردة على كل يعني صدع بتاريخ أمته أو أنشد أمجاد حضارته، أو رفض الذوبان في غيره.

٥٢- انظر، خالد فارس، الاستلاب المعرفي عند ماركس وهيجل،

<https://hadfnews.ps/post/101355/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8-alienation-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3#:~:text=%D8%A3%D8%B1%D8%A7%D8%AF%20%D9%87%D9%8A%D8%AC%D9%84%20%D8%A3%D9%86%20%D9%8A%D9%82%D9%88%D9%84%20%D8%A5%D9%86%D9%91%20%D8%AF%D9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9%20%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%91%D9%8C%D8%8C%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%87%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%91%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%20%D8%AA%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%AA%D8%AC%20%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8>

لقد استجابت الأمة اليمنية من ذاتها لرسالة الإسلام الخاتمة ورسولها المبين(ص)، وكانت إذ ذاك تمر بمرحلة تراجع حضاري، فحاولت جاهدة التجدد من خلال الفكرة الإسلامية الجديدة، لكنها وجدت نفسها فجأة بعد عصر النبي(ص) مطالبة بالذوبان في مجتمع قريش وثقافته وعاداته وقيمه وأذواقه كلياً، ومحرم عليها العودة إلى تراثها الحضاري بكل تكويناته، معرفية وعلمية ولغوية ودينية وتقنية، باعتباره تراثاً كفرياً شركياً وثنياً مناقضاً للدين الجديد.

لم يكن الإسلام بالطبع يشترط ذلك، فالرسالات السماوية لا تلغي القيم المعرفية والتراث الحضاري، فهي تأتي لإنقاذ أمم بلغت درجة الانحطاط والتخلف كما هو حال قريش قبل الإسلام، لكن قريش بعد النبوة ادعت أن المعرفة والعلم منحصرة في تفسيرها للكتاب والسنة فحسب، وما تملك من قيم وعادات وأفكار بدائية، وأن ما دونه من علوم ومعارف وتجارب وخبرات متوارثة عن الأسلاف ليست سوى أدوات كفرية وأساليب جاهلية، كافر ومرتد من يتحدث عنها أو يحتج أو يعتد بها!

من هذا القبيل جرى تدمير القصور والمعابد وتمثيل الملوك واتلاف المخطوطات والمعارف، وتحريم علوم السابقين، واعتبارها أساطير وثنية وشركية، لقد كان ولاة الأمويين والعباسيين في اليمن يعمدون جهرة لإتلاف المخطوطات والنقوش والآثار التي يحصلون عليها في اليمن مما ليست مالا، بينما يرسلون القوافل المحملة بالصدقات والأطياب والأحجار الكريمة والتحف المنقوشة إلى دمشق وبغداد، حيث يورد الطبري في المجلد الخامس أنه في عهد سليمان بن عبد الملك ولي معن بن زائدة ولاية اليمن فكان يجبر الناس على دفع الأموال الباهظة من الذهب والفضة، وكان مولعاً بجمع الأحجار الكريمة، فكان يتوافد عليه الناس من الحجاز والعراقين والشام وأقطار الأرض فيعطيهم عطايا لا يعطي مثلها أحد، وكل ذلك الانفاق والاسراف قابله الشدة في طلب الأموال والتحف من اليمنيين(٥٢).

لقد كانت الجزيرة العربية كلها تكتب بقلم المسند اليمني السبئي الحميري، وهو أقدم قلم عرفته البشرية، غير أن قريش قبيل الإسلام استقدمت الرسم النبطي وعلمته لعدد قليل من عناصرها، حتى جاء الإسلام وعدد الكتبة لا يتعدى - بحسب سيرة بن هشام - ١٧ شخصاً، غير أن هذا القلم الجديد المولد في منطقة الأنبار من خطوط عدة منها المسند والفهلوي والسرياني والنبطي، صار قلم دولة الإسلام الرسمي في عهد الأموية والعباسية، وبه دونت نصوص الدين، وكتب الفكر والثقافة والعلوم، فصار أكثر شبهاً بالقلم الفارسي الفهلوي منه إلى القلم العربي المسندي، بينما تحلف قلم المسند الحضاري التاريخي، وتضائل عدد الكتاب به، حتى جاءت أجيال متلاحقة لا تدرك ولا تعي منه شيئاً، وهكذا فصل اليمني والعربي عن تاريخه تبعاً لنزوة ادعاء المغايرة وانكار الاتصال التاريخي، وخسر العرب رصيد التاريخ والتجربة الحضارية والإرث المعرفي، فكان أن تحبطوا في إدارة الدولة الأمة من اللحظة الأولى، وسفكت دماء عشرات الآلاف من الصحابة الكرام، في ظل التخبط للبحث عن طريقة لإدارة السلطة والدولة، حتى

52- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٨، ص ٦٥.

ذهبت الأموية لاستقدام النموذج الروماني الشمولي، رغم أنه يختلف كلياً عن النموذج الحضاري الشوروي في دولة التبابعة والدولة الحميرية، وحتى عن نموذج السلطة الجمعية القرشية قبل الإسلام ممثلة في دار الندوة، فضلاً عن اختلافه الجوهرى عن نموذج السلطة الاتحادية الذي سنه النبي(ص) من خلال الأقاليم والأمصار وتولية ولاية من أبنائها الذين أسلموا على قومهم.

لقد اخترع آباؤنا السبئيون الأول الحرف والقلم قبل كل الأمم، وبسرعة كبيرة طوروا ذلك الحرف من رمز تعبيرى إلى لغة علمية منهجية مسطورة بتقانة أطلقوا عليها نظم(ن)، بمعنى منهجية الكتابة أو قانون الكتابة، وصنعوا للكتابة أقلاماً خاصة للنحت على الصخور بتقانة فريدة كآلة هندسية لا تزال صورتها اعجازية مبهرة حتى اللحظة.

ذلك الاختراع العظيم للكتابة العلمية وقلمها وطريقة كتابتها المسطورة بشكل علمي ومنهجي، هو ما يمكن تسميته بالمنهج العلمي الأقدم في تاريخ البشرية الذي شكل ثورة معرفية حضارية كبرى نقلت البشرية من الشفاهية والحكواتية إلى التدوين، وليس مجرد تدوين وحسب بل إلى المنهجية العلمية في الكتابة، وهي ثورة لا تساويها إلا ثورة الانترنت في عصرنا هذا.

ولأهمية تلك اللحظة وذلك الاختراع العبقري الذي تسبب في تطور البشرية وتطور المعرفة ومغادرة عصر الحريشات والرسوم المصمتة، سجل القرآن الكريم شهادته على تلك الثورة المعرفية الأولى في سورة خاصة هي سورة (ن)، ذكرت أركان ذلك الاختراع المتمثل في:

- النظم الكتابي المعرفي (ن)
- الأداة الكتابية المعرفية (القلم)
- المنهج العلمي للكتابة (وما يسطرون)

هذه القوانين الثلاثة هي القواعد الكتابية المنهجية للثورة المعرفية الأولى، لأنه من تلك اللحظة بدأت تتكون المكتبات العلمية، وأكبر شاهد على ذلك وجود ٤٤٠ لوحاً حجرياً منقوشاً في معبد آوام بمأرب جميعها تبدأ بحرف النون، وهي جميعها مسطورة بتقانة بديعة وكأما قدت بألة معاصرة.

ولكي تدركوا ذلك لاحظوا كيف وضع القرآن الكريم حرف النون في مفتتح السورة بنفس منهجية الكتابة في حضارة التبابعة الأولى، كشاهد إلهي على لحظة تطور العقل البشري من خلال اختراع المنهج الكتابي والبحث العلمي في أرض سبأ. ثم لاحظوا أيضاً وجود مكتبة علمية أثرية بخط واحد ومقاس واحد مكونة من ٤٤٠ لوحاً منقوشاً بتقانة بديعة، هذا يعني أنه في تلك اللحظة السبئية العظيمة كانت ولادة العقل العلمي في تاريخ الأمم السابقة، ومن تلك اللحظة تشكلت المعرفة التراكمية وانتقلت الحضارات من الأساطير الحكواتية الشفهية إلى البحث العلمي والمنهج المعرفي، وتحولت الكتابة إلى تراث علمي تراكمي ينتقل من جيل لآخر عبر التدوين والتأليف والتوثيق في المكتبات، ولولا هذا الاكتشاف السبئي لظل الإنسان يكرر العصر الحجري، ولا يجد طريقة لنقل المعلومة والخبرة.

أردون لماذا أشار وأشاد القرآن الكريم بهذه المعجزة والاكتشاف الأعظم للسبئيين ووضعه بنفس الطريقة والمنهجية، ببساطة لأن البشرية ظلت تكرر نفس التجارب الفاشلة من آدم إلى قوم ثمود، تبدأ من الصفر وتنتهي لنقطة فشل جماعي فتهلك، وكلما هلكت أمة بسبب تجربة فاشلة، جاءت بعدها أخرى وبدأت من الصفر لعدم وجود تراكم معرفي وخبرات منقولة، وتقع بنفس التجربة الفاشلة وهكذا حتى اخترع آباؤنا عظماء التبابعة السبئيين نظام الكتابة العلمية والبحث المعرفي (ن)، حينها تجاوزت البشرية مرحلة المحاولة والخطأ، وانتقلت لمرحلة المعلومة المحققة والعقل التراكمي والخبرة المنقولة عبر المكتبات للأجيال المتلاحقة.

في العصر العباسي انبرى أبو الأسود الدؤلي لحل اشكال القراء واللحن، فضبط حركات القرآن ونقاط أحرفه للتمييز بين الحروف المتشابهة، حينها ظهرت الحاجة لتقعيد اللغة وفقاً لقواعد القرآن الكريم، فنشأت مدراس اللغة والنحو لاستقصاء ألفاظ اللغة وتصريفها، وبناء المعاجم، حينها قالت قريش- وبدافع المغايرة وادعاء التميز- ما لغة حمير بلغتنا ولا عربية حمير بعريتنا (٥٣).

تسببت هذه السياسية الاقصائية للتاريخ واللغة بظهور إشكالات كثيرة في فهم كثير من ألفاظ القرآن وعباراته، فصار المفسرون حينما لا يجدون في قواميس اللغة التي جمعت من بوادي نجد والحجاز، يعزون الفهم والعلم إلى الله دون خلقه، واصفين بعض ألفاظ القرآن بأنها حروف وألفاظ أعجمية غير قابلة للفهم البشري، رغم أن القرآن الكريم يصف نفسه قائلاً: "بلسان عربي مبين" فكيف يكون مبيناً وفيه ألفاظ استعجمت وصعب تفسيرها؟ ولو أنهم عادوا للغة اليمانية السبئية والحميرية القديمة ونقوش المسند لوجدوا فيها ايضاحاً لكل أو أغلب معاني ألفاظ القرآن الكريم وعباراته، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: "حاميم والكتاب المبين" حيث قال المفسرون حاميم حرف أو كلمة استفتاح لا معنى لها!! لأنهم لم يجدوا معناها في معاجم مدرسة البصرة والكوفة وبغداد، ولكنه موجود في نقوش اليمن المسندية بلفظ (ذات حاميم) أي إله الشمس أو صاحب الشمس أو رب الشمس ومالكها (٥٤).

وفي السياق ذاته مورس الاستلاب المعرفي في القيادات اليمانية التي تصدرت العلم والفكر واللغة والأدب والشعر والفلسفة في التاريخ الإسلامي، فهمشتهم كتب التاريخ والسير، وإذا ما ذكروا فعلى سبيل العارضة دون أن يحظوا بترجمة وتبجيل كغيرهم من علماء وفقهاء الحجاز وفارس والعراق والشام، وعلى مستوى الداخل اليمني عمدت سلطات الإمامة السلالية والصوفية المرادفة لها في كل مناطق اليمن على تجهيل الشعب اليمني، واحتكار العلم والتعليم والفقهاء والفتيا والوعظ والقضاء في العناصر السلالية

⁵³-انظر، طه حسين في الشعر الجاهلي، ٧٨-٧٩.

ذات حاميم في النقوش اليمانية، تعني صاحب الشمس أو خالق الشمس أو رب الشمس، انظر، وكان للشمس أوصاف متعددة عند قدماء اليمانيين فبينما يطلق عليها السبئيون (حاميم) يطلق عليها المعينيون (نكرح)، وكان يرمز للشمس إما برمز النسر للدلالة على القوة والهيمنة والسطوع، أو الفرس للدلالة على السرعة، ولم يطلق اليمانيون عليها لفظ شمس إلا في العهد الحميري المتأخر قبل الإسلام، انظر، اسمهان الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن

⁵⁴-القديم، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م، ١٣٩.

حتى فجر ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، وفي كثير من الأوقات كانت القرية والقربتان والثلاث لا تجد فيهما من يقرأ ويكتب أو يصلي بالناس ما لم يكن كهنوتاً سلالياً يقدم نفسه بصورة نصف إله، ويطلب الناس بتقديس سلالته.

لم يتوقف الأمر عند مجرد انكار الاتصال التاريخي باللغة المسندية بل ذهبت السلطة الأموية وبدافع المنافسة والمغايرة إلى استئجار عدد من المؤرخين الفرس لابتكار تاريخ بعيد المدى لقريش لتنافس به التاريخ القحطاني السبئي، فولدت الحاجة أنساب العدنانية، وقسمت العرب إلى حزبين متصارعين النزارية واليمانية ثم القحطانية والعدنانية، وهي التي أسست لخرافة الهاشمية والإمامية (٥٥)، ونحن نسألهم أين وكيف تم تصنيف عرب الشام وأفريقيا والعراق القدامى ضمن الحزبين؟

أما المكتبة اليمنية الإسلامية فهي تشكل صورة كبرى من صور الاستلاب الثقافي، فقد كتب السلاليون في تمجيد تاريخ غزوهم وفسادهم وجرائمهم ولصوصيتهم وكهنتهم الوافدين لليمن آلاف الأضعاف مما تحوي المكتبة اليمنية من مؤلفات ومخطوطات عن تاريخ وحضارة اليمن الممتدة لـ ٧٠٠٠ عام، وتحوي المكتبة السلالية في اليمن آلاف الكتب والمخطوطات عن سير كهنتهم وتمجيد جرائمهم بتسميتها فتوحات، حيث تقدر العناوين السلالية الممجدة للكهنوت السلالي وعناصره الغازية بأكثر من مائة ألف عنوان، بينما قد لا نحصي خمسة آلاف عنوان في المكتبة اليمنية عن عظماء وملوك وعلماء ومفكر يمني.

أما المؤلفون السلاليون الغزاة فيكتب الواحد منهم كتاباً لتكريس خرافة قداسة سلالته، ثم إذا مر بأحد عناصر السلالة المجرمين، يظل يتمدح فيه الفصل والفصلين وربما المؤلف كله، ويصور جرائمه فتوحات، وسرقته للناس مكرمات، ويجعل منه قديساً ونصف إله، ويحشد عشرات القصص الكاذبة ليجعل من ابن عمه السلالي محفوفاً بالكرامات تتحرك من أجله السماوات والأرض والرياح والمطر، وربما أنكر النجاسة عن بوله وغائطه، بينما لو مر عليه في كتابه ذكر شخصية يمنية من كبار الصحابة أو التابعين أو العلماء كالهمداني أو نشوان الحميري إلخ، تراه يحشد لها أقذع الأوصاف وأشدها، ويلصق بها الجهالة ويخرجها عن الملة، ويكيل لها كل التهم الدينية والأخلاقية حتى يشوه وجه الحقيقة ويصور للأجيال أن اليمن كانت خالية من العلم والعلماء والفقهاء والباحثين والمؤرخين إلا من عناصر السلالة المتوردة.

إن نظرة فاحصة في المكتبة التراثية اليمنية وما حوت من كتب ومخطوطات تنتمي للتاريخ الإسلامي حتى فجر ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م و١٤ أكتوبر ٦٣م تضعنا أمام حقيقة الاستلاب المعرفي الكبير الذي مني به العقل اليمني، حيث تنتمي أغلب عناوين المكتبة اليمنية الإسلامية وبنسبة قد تتجاوز ٨٠٪.

يؤكد الدكتور جواد علي في الفصل الجزء الأول أنه لا يوجد ذكر للعدنانية في التوراة ولا الكتب المقدسة ولا الشعر الجاهلي وأن القبائل العربية التي ذكرت في الشعر الجاهلي لا ترفع نسبها إلى العدنانية ولا القحطانية، وإذا كان بعض شعراء اليمن في الجاهلية تغنوا بالقحطانية فإن العدنانية لم تذكر البتة، وهو ما يدل على أن تقسيم الأنساب بين عدنانية وقحطانية كان متأخراً في العصر الأموي والعباسي وبفعل المنافسة السياسية بين اليمانية والنزارية القرشية، أنظر جواد علي الفصل ٤٦٦-٤٩٤⁵⁵

لمدرسة الهادوية السلالية والصوفية السلالية، وجميعها مهما كان باجها تكرر التمجيد والتبجيل والتقديس لخرافة السلالة المقدسة وأكذوبة آل البيت وكراماتهم، مع نزر يسير في اللغة والأدب والتاريخ لا تخلوا من سمومهم، أما علوم الفلسفة والمنطق والرياضيات والعلوم الكونية والتطبيقية والطب والهندسة والاجتماع والاقتصاد وغيرها، فكأنما انطفأ العقل اليمني عنها كلياً طوال ١٤٠٠ عام مكتفياً بدروشات السلالة وخرافاتها! ولك أن تتخيل مجتمعاً تصدر مكتبته التراثية الدينية لأجياله المتعاقبة أفكار الخرافة والصلابة والعنصرية والعنف والفوضى والجهل المقدس والتاريخ المزور والدين المزيف والصراع المذهبي والطائفي، وتعمل على تدويره من جديد في كل جيل، أنى لهذا المجتمع أن يكتشف ذاته؟ أو يجد مسلكاً إلى مستقبله؟

إن وعي الإنسان اليمني بذاته وواقعه ومشكلاته سيظل مرهوناً بمدى قدرة أجياله على تجاوز تلك القيود الكابحة لوعيه المتمثلة في ركامات الجهل والخرافة والصلابة وأفكار المقابر ودعوات العنف التي تملأ رفوف المكتبة التراثية والجامعية مما يسمى زوراً وخديعةً وتديساً بفقهِ وتاريخ وطرائق ومناهج وتفاسير الزيدية والصوفية، فهي ليست سوى سموم قاتلة للعقل مستدومة للجهل والتخلف، وظيفتها الأساسية سجن الإنسان اليمني خارج نطاق الوعي والمنطق العلمي، ليظل موضع استلاب واستغلال وتسخير للسلالة الكهنوتية الغازية وخرافاتها، وإن أول مهام التحرر الوطني تحرير العقل اليمني من تلك الإسار والأغلال عبر دفنها جملة في مقابر الموتى بدلاً من تركها تدفن اليمنيين بالحروب والصراعات الصنمية السلالية جيلاً بعد جيل.

ب- الاستلاب السياسي

يعرف الاستلاب بأنه وقوع البلاد المستعمرة تحت سلطة الاستعمار أو التبعية بشكل مباشر أو غير مباشر، فيقال - مثلاً- سلب الاستعمار البريطاني اليمنيين استقلالهم ١٢٩ عاماً، ويقال -أيضاً- لا تزال البلاد العربية تزح تحت التبعية للاستعمار الغربي بشكل غير مباشر منذ مغادرته في منتصف القرن العشرين. وكلا الأمرين صحيح لأن الاستلاب السياسي يعني انتزاع حرية الشعوب ومصادرة قرارها وسيادتها على أوطانها.

وبالنظر في تاريخ أمتنا اليمنية نجد أننا وقعنا تحت نير الاستلاب الحضاري بشكل تدريجي منذ أن انحارت دولتنا المتأخرة في عصر تبابعة حمير قبيل الإسلام، فلقد سرى الضعف في الدولة منذ لحظة استشهاد الملك التبع يوسف أسار على يد الحملة الرومانية الحبشية في ٥٢٥م، والتي كان سببها المباشر قيام بعض السفن الحميرية بمهاجمة سفينة رومانية في باب المندب (٥٦)، وليس كما روى البعض من أن سبب الغزو كان احراق نصارى نجران، فالنقوش اليمنية المتوفرة عن غزوات الملك يوسف أسار لا تشير إلى وقوع أي محرقة للنصارى في نجران، بل تؤكد أن الملك يوسف أسار ذهب إلى نجران لتأديب الجماعة

⁵⁶- انظر محمد الفرح، الجديد في تاريخ سبأ وحمير، ص ١٠٤٩.

الخارجة التي بغت، ولا يوجد نقش او نص صريح يشير إلى احراق ذي نواس للمسيحيين في نجران مطلقاً، ولكن الحقيقة كما تبدو من خلال النقوش هي أن فتنة نشبت بين المسيحيين أنفسهم في نجران، حيث كانت نجران منقسمة بين مذهبين مذهب الطبيعة الواحدة الذي يؤله المسيح ومذهب النسطوريين الذي يقول ببشرية المسيح وأنه عبدالله ورسوله، وكان مذهب النسطوريين هو السائد في نجران حتى عام ٥٠٠م، ومن ثم قامت روما بدعم أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة فنشطوا في نشر فكرهم ومذهبهم حتى غلبوا النسطوريين ثم أقاموا لهم أخذوداً ليتخلصوا منهم ذلك أن مذهب النسطوريين كان يشكل معارضة دينية وسياسية لمذهب روما وكنيستها القائلة بالتثليث^(٥٧).

أما قصة قتل ذي نواس للنصارى واحرقه للكنيسة فالثابت الذي ظهر من خلال النقوش اليمنية كما في النقش رقم ١٠٢٨ جام - ترجمة د. بافقيه تاريخ اليمن القديم ١٦٢-١٦٤- أن ذي نواس قضى على الفتنة في ظفار وقتل الحارث بن عبد كلال الذي أثار فتنة طائفية بدعوته للمذهب المسيحي الثالوثي، وانفصاله عن الدولة، فقام ذو نواس بمحاربه مع كل الأقبال وقتله وأحرق كنيسته التي بناها في منطقة ظفار، وقتل الأحباش الذين جاءوا لمساندة الحارث بن عبد كلال وعددهم (٥٢) ألف قتيل و(١١) ألف أسير، وغنم(٢٥٠) ألف من الإبل والغنم^(٥٨)، ثم قام بتقوية دفاعات باب المنذب لمواجهة الغزو الروماني والأكسومي الذي بدأ يتسلل إلى سواحل اليمن، ولا شك أن تلك الأحداث كانت في مضمونها مؤشراً خطيراً على اختراق الأفكار والمذاهب الوافدة للبيئة اليمنية، وأنه سيتبعها حالة استلاب حضاري قسري يفقد الأمة اليمنية استقلالها السياسي.

على أن الملاحظ أن الأمة اليمنية ظلت صامدة بعد ضعفها طوال ألف وخمسين عاماً منذ ٥٢٠ق.م- ٥٢٥م، دون غيرها من حضارات العرب القديمة كالفرعونية والبابلية والأشورية التي وقعت تحت الاستعمار الفارسي والروماني منذ القرن السادس قبل الميلاد ولم تقم لها قائمة حتى الفتح الإسلامي، وهذا بخلاف ما يردده البعض من أن اليمن وقعت تحت طائلة الاستعمار الروماني والفارسي أكثر من غيرها! كما أن الملاحظ -أيضاً- أن الأكسوم كانت في العصر الحميري تتبع الدولة الحميرية المركزية في اليمن، وكانت أشبه بعاصمة ثانية، غير أنها لما اعتنقت المذهب المسيحي الروماني بعقيدة التثليث صارت أكسوم مركز تصدير للدعوة المسيحية المدعومة من روما، وبفعل ذلك تحولت تبعية أكسوم جزئياً من اليمن إلى روما، وبفعل هذا التحول السياسي والأيدولوجي تم استخدام أكسوم لغزو اليمن كونها تشكل امتداداً للروح اليمنية، وقد كان من طبيعة اليمنيين أنهم لا يقاومون بعضهم بشكل شرس كما يقاومون الاستعمار الخارجي.

⁵⁷-المرجع السابق، ١٠٤٢-١٠٤٣.

⁵⁸- انظر، بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، ص ١٦٢-١٦٤.

لقد حاولت روما غزو اليمن في ٢٥ قبل الميلاد بقيادة ايلوس غالوس في عهد الامبراطور أغسطس الذي تنامي إلى مسامحة أن اليمينيين يملكون ثروات هائلة من الذهب والفضة بسبب أنهم يبادلونها بعطورهم وأفاويهم وحجارتهم الثمينة، وفشلت الحملة الرومانية وتخطف جيشها الطير في صحراء مأرب (٥٩)، فكان ذلك درساً بليغاً للرومان، وبالمثل حاول الاسكندر المقدوني احتلال اليمن في القرن الرابع قبل الميلاد فلم يستطع دخول سواحل اليمن عند عودته من الهند حيث وجد مقاومة شديدة وباءت محاولته بالفشل، وقد ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب ما يتناقله الناس في سقطرى من أنه سكن بها إلى جوار قبائل مهرة عشرة آلاف مقاتل من الرومان أوطنهم بها كسرى (٦٠)، ويبدو أن الهمداني - رحمه الله - وهم أو نقل عما يتناقله الناس دون تحقيق، فلربما قصد بكسرى الاسكندر لأننا نجد في تاريخ استرابون ذكراً لغزو الاسكندر المقدوني قبل موته لبلاد العربية السعيدة بعد عودته من الهند، لأن العرب لم يرسلوا له وفود تهنئة أو سفراء لا قبل غزوته للهند ولا بعد عودته (٦١)، ولأننا لا نجد ذكراً لأي غزو روماني في أي من بلاد اليمن عدا ما ذكره الهمداني من وجود عشرة ألف فارس روماني، ولكن لا دليل مطلقاً على وجود عشرة ألف مقاتل روماني في جزيرة سقطرى، ولم تتضمن المصادر اليونانية ولا الرومانية ذكر ذلك، فأقصى ما ذكره سترابون وبطليموس وغيرهم أن الاسكندر الأكبر فكر في غزو بلاد العرب الجنوبية، وأعد لذلك الخطط بعد عودته من البنجاب والهند، ولكن الموت فاجأه وتنازع أتباعه من بعده الملك وتقسمت الإمبراطورية.

وبالعودة إلى قضيتنا الخورية وهي حقيقة الاستلاب السياسي الذي تعرضت له الأمة اليمنية، فيمكن القول أنه رغم الوجود الحبشي الذي وفد محمولاً على ظهر السفن الرومانية في ٥٣٣م، واستمر في اليمن قرابة ٤٠ عاماً حتى ٥٧٠م، إلا أن ذلك الوجود لم يسم نفسه بالاحتلال الأجنبي، حيث نجد أبرهة الحبشي، يسمي نفسه بإبرهة الصباح الحميري كونه يعود في الأصل إلى اليمن من آل ذي معاهر، وكانوا قد هاجر بعضهم إلى أكسوم كونها عاصمة ثانية للدولة الحميرية (٦٢)، ويضع اللقب الملوكي الحميري لنفسه (ملك سبأ وذي ريدان ويمنات وأعرابهم الطود وتمامت)، كما أنه يولي على مناطق اليمن أقبالاً من حمير ومدحج وكهلان، ولكن البعض يخرج عليه ويريد الاستقلال عن سلطته في صنعاء كما فعل معد كرب ذو يزن ملك أقبال مشرقن وقصره بعبدان، ويزيد بن كبشة الكندي الذي ولاه أبرهة ولاية جزء من حضرموت، وكذلك رؤساء مرة وجرت وتمامة وسبأ الذين تحالفوا مع معد كرب ذي يزن وقاتلوا

⁵⁹- انظر سترابون، الجغرافيا، الكتاب السادس عشر الفصل الرابع ٢٢، ترجمة ميخائيل حسان، ج ٢، دراء رسلان، ٢٠١٧م ص ٣٤١.

⁶⁰- أنظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، طبعة مكتبة الإرشاد صنعاء ١٩٩٠م، ص ٩٣.

⁶¹- سترابون، مرجع السابق، ص ٣٤٦.

في نقش أبرهة المدون على مدخل سد مأرب يذكر نفسه وابنه أكسوم بن أبرهة بن الصباح آل ذي معاهر، وهذا يعني أن أبرهة اعترف بأصله اليمني وأنه ممن هاجر أبائه إلى الحبشة، انظر نقش أبرهة ٥٤١ سي أي اتش، وانظر الفرح، ج ٢، ص ١١٠٤.

ابرهة في وقعة العبر، ثم تصالحوا معه من جديد على أن يكون إقليم مشرقن مستقل إدارياً عن صنعاء (٦٣).

كما أن ابرهة الأشرم الحبشي - كما هو موصوف عند المؤرخين العرب - لم يعمل على تغيير السياسة المتبعة لدى ملوك حمير سواء من حيث الحفاظ على الوحدة السياسية للجزيرة العربية، أو مقاومة الغزو الخارجي الفارسي أو الروماني للجزيرة العربية، أو التعهد بإعادة بناء واعمار سد مأرب - كما في النقش السالف ذكره - وربما احتج البعض بأن ابرهة بنى قليساً أو كنيسة في صنعاء، والحقيقة أنها كانت موجودة قبل ابرهة وإنما أعاد ابرهة ترميمها، حيث يذكر الهمداني في الاكليل وفي الصفة أن الباني للكنيسة أحد ملوك حمير وأن ابرهة قام بتجديدها^(٦٤)، ويدل على ذلك أن المسيحية دخلت اليمن قبل ابرهة بحوالي قرنين من الزمن، وأنه كان للنصارى كنائس في نجران وظفار وتهامة ومناطق أخرى من اليمن، على أن الأحباش لم يستمروا في اليمن إلا فترة بسيطة لا تتعدى ٤٠ سنة، ولأنهم لا يزالون يشعرون بيمينتهم فإن تعاطيهم من اليمنيين لم يكن يحمل في طياته سياسة الإلغاء والاستبدال فيما يخص الهوية التاريخية والحضارية والثقافية، بل حاولوا أن يتسايروا مع البيئة اليمنية ويظهروا ولاءهم للثقافة والموروث التاريخي بل وانتماءهم للأمة اليمنية، وإذاً فيمكن أن نطلق على هذه المرحلة فترة التراجع والانكسار السياسي ولكنها لا تحمل معنى الاستلاب الكلي وفقدان الذات الحضارية، ذلك أن الملك والسلطة العليا قد عادت لليمنيين مباشرة بعد موت ابرهة إذ قام اليمنيون بثورة ضد ابنه أكسوم فقتلوه ثم تولى من بعده الملك سيف بن معد كرب ذي يزن الذي قاد ثورة اليمنيين ضد الأحباش.

ويمكننا ملاحظة الخيط الأول لسياسة الاستلاب الحضاري في ميدان السياسة يبدأ من الوجود الفارسي البسيط في صنعاء قبيل لحظة الإسلام، على أننا نحب التنويه هنا أنه لا يوجد في كل النقوش اليمنية المتوفرة حتى الآن أي ذكر للوجود الفارسي في اليمن قبل الإسلام، ولا في أي من المراجع التاريخية قبل الإسلام، كما لا يوجد ذكر للملك الحميري سيف بن ذي يزن، ولا مسيرته لكسرى واستنجاهه به لطرده الأحباش، وكل ما وجد هي اخباريات منقولة عن المؤرخين العرب كالمسعودي وابن خلدون والهمداني، وبدورهم نقلوها عن المؤرخين الفرس وخاصة الطبري في كتابه تاريخ الرسل والملوك وابن الكلبي محمد وابنه هشام في كتب الأنساب التي صكوها في العصر الأموي كمطلب سياسي أيديولوجي لإثبات أنساب افتراضية للعدنانية ونسبت قريش وبعض القبائل العربية اليمنية الأصل في شمال الجزيرة العربية لأكدوبة العدنانية، وجعلها منافساً تاريخياً للقحطانية والسبئية والحميرية، وفي تقديرنا أن العناصر الفارسية تسللت إلى اليمن والجزيرة العربية خلصة بعد موت الملك سيف بن معد كرب ذي يزن ووقوع التنازع بين أقطاب الأسرة اليزنية من

63- انظر، بافقيه، في العربية السعيدة، ص ١٩١-١٩٦.

64- انظر الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٤٠٨.

جهة، وبينها وأقبال همدان من جهة ثانية، ولعل أول ذكر للفرس الباذانيين في صنعاء كان في حادثة الردم التي أوردتها المسعودي والرازي وابن إسحاق وابن كثير وابن هشام والهمداني وغيرهم - على تأخرهم.

ويبدو أن الفرس منذ تسللهم إلى اليمن تحت خديعة المناصرة لهمدان أو لمعد كرب بن سيف بن ذي يزن، قد تمركزوا بشكل كلي في صنعاء، مستغلين النزاعات والفرقة التي دبت بين الأقبال الحميريين والهمدانيين بعد موت الملك سيف بن معد كرب بن سيف بن ذي يزن، وانقسام السلطة بين قصر أحور وقصر غمدان، وأنهم استغلوا خلافات معد كرب بن سيف مع أقبال همدان، ونزوع أقبال همدان إلى الاستقلال عن سلطة اليزنيين، فتآمروا مع من تبقى من الحبشة في عساكر معد كرب بن سيف بن ذي يزن، وقال المسعودي: " وأقام معد كرب بن سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن واتخذ عبيداً من الحبشة حراية يمشون بين يديه، فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف بغمدان بصنعاء، فلما سار إلى رحبتها عطف عليه الحراية من الحبشة فقتلوه بجراهم، وكان ملكه أربع سنين، وهو آخر ملوك قحطان في اليمن، وقد ملكوا ثلاثة آلاف ومائة وتسعين سنة (٦٥)."

هنا تظهر حالة الاستلاب السياسي بشكلها الأولي في صنعاء على أيدي نفر من الفرس في لحظة البعثة النبوية، حيث عمد الفرس إلى اللعب على ورقة الفرقة بين اليمنيين وزاد من أطماعهم بصنعاء تفرق أقبال اليمن بعد مقتل معد كرب بن سيف، فقد ذهب كل قيل لإعلان ملوكيته على قبيلته، وهو ما شهدته ودونه وهب بن منبه كما في كتاب التيجان، ولم يملك اليمنيون بعد مقتل سيف بن ذي يزن أحداً على أنفسهم، غير أن كل ناحية ملكوا عليهم رجلاً من حمير، فكانوا مثل ملوك الطوائف حتى أتى الإسلام، وقد شجع ذلك الفرس على السيطرة على صنعاء، والاستفراد بها، فلما كان أقبال همدان ينزعون إلى الاستقلال، ويحشون من مواجهة حمير ومدحج، وكانت قبائل همدان ومدحج وذو يزن ترغب في تحرير صنعاء من الفرس، سارع الفرس إلى همدان لطلب التحالف معهم لضمان قوتهم (٦٦)، فشكل ذلك الحلف بداية الاندماج بين أقبال همدان والفرس، ويتضح من خلال الوقائع أن التحالف بين همدان والفرس قد تجاوز البعد السياسي إلى البعد الثقافي يذكر البعض أنهم اتخذوا لهم معابد خاصة بالديانة المجوسية حول صنعاء توقد فيها النار (٦٧).

65- المسعودي، مروج الذهب، ج ٢، ٨٥-٨٧.

66- انظر الرازي، تاريخ مدينة صنعاء، ص ٣٦.

67- انظر، الدكتور عبد الرحمن الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، ط ٨، ٢٤. وانظر مروج الذهب للمسعودي، ٢، ٨١، وجواد علي، المفصل، ٣، ٥٢٩.

لقد كان للتحالف بين همدان والفرس أثره في ضرب الدولة اليمينية واستهداف الهوية التاريخية والنسيج الاجتماعي، فقد انقسم أقبال اليمن إلى حلفاء للفرس وهم همدان، وخصوم لهم، وهم مذحج وحمير، وأسهم ذلك الانقسام في استمرار التواجد الفارسي في اليمن، وحمائته من ثورات أقبال مذحج وحمير، واستخدم الفرس سياسة (فرق تسد) فظلوا يؤججون الفتنة بين مذحج وحمير وهدان، لإشغال القبائل اليمينية في حروب طويلة الأمد تستنزف جميع الأطراف، وتبعد اليمينيين عن فكرة تحرير صنعاء من الوجود الفارسي، غير أن بقاءهم في اليمن لم يدم طويلاً حيث الفترة من ظهور الفرس في صنعاء إلى ثورة اليمن القومية بقيادة الملك عبهلة بن غوث العنسي تقع ما بين غزوة بدر في السنة الثانية للهجرة وحتى الشهر الثالث من وفاة النبي(ص) في السنة الحادية عشرة، وهي فترة قصيرة لا تؤهل لطمس الهوية الحضارية والثقافية لليمن، فضلاً عن كون الوجود الفارسي انحصر في صنعاء فقط.

وقد سارع اليمينيون للدخول في الإسلام واللحاق بركب النبي(ص) وصحابته منذ ما بعد الهجرة النبوية، وتكاثرت وفود اليمن إلى النبي(ص) منذ العام السادس للهجرة حتى لم تعد قبيلة إلا وقد بلغها الإسلام وحسن إسلام أهلها، واتخذ النبي(ص) سياسة الاتصال الحضاري مع تاريخ العرب واليمن القديم، فأشاد بإيمان اليمينيين ووصفهم بأنهم أهل كتاب ودين، كما أشاد بأخلاقهم وسلوكهم، وعاملهم معاملة الملوك فبسط لأقباهم رداءه (ص)، وخاطبهم بألقابهم المملوكية الأقبال والعباهلة، وفضل اليمينيين على غيرهم من العرب، وغير ذلك من الإشارات والاعتبارات النبوية التي حملت في طياتها معنى الاتصال الحضاري والامتداد التاريخي.

وفي الميدان السياسي نجد النبي (ص) يوجه الرسائل لملوك وأقبال اليمن بالمثل كما وجهها لملوك الفرس والروم، واقتضت سياسته بعد إسلام اليمينيين (ص) أن يولي على مخاليف اليمن من أهلها من السابقين بالإسلام، فولى أبا موسى الأشعري على تهامة، والطفيل بن عمرو الدوسي على قومه من دوس، وضمام بن ثعلبة الأزدي على الأزدي، ومعاذ بن جبل الانصاري على الجند، وفروة بن مسيك المرادي على قومه من مراد وغيرهم^(٦٨)، وربما وهم البعض أو نقل عن الطبري دون تمحيص أن النبي(ص) ولى باذان على صنعاء أو على اليمن كلها، والحقيقة أن الطبري ذكر أن النبي(ص) وعد باذان أن يوليه على ما تحت يده أو على اليمن كلها، أو على قومه، وهذه الرواية تفرد بها الطبري^(٦٩)، ونقلها عنه الخزرجي وآخرون، وهي تحمل في طياتها نقضها، لأن الواقع أن النبي(ص) كانت سياسته أن يولي على كل قوم رجلاً منهم

68-انظر الشجاع، عبدالرحمن، اليمن في صدر الإسلام، ص ٧١-١٤٠.

69- انظر، الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢، ٦٥٦.

وليس غريباً عنهم، ومن ثم فقد ولي باذان على قومه فقط، أي على العناصر الفارسية في صنعاء، بدليل أنه كانت لمعاذ بن جبل الولاية العامة على كل أقاليم اليمن.

ورغم تغير سياسة الخلفاء الراشدين في التعامل مع الأمصار والقبائل العربية، وتحول الدولة من اللامركزية في عهد النبي(ص) إلى المركزية في عهد الخلفاء الراشدين، وأصبح كل الولاة من قريش تبعاً لمقولة " الأئمة من قريش"، وهي المقولة التي تغلبت في السقيفة وأصبحت وكأنها قاعدة سياسية عامة للدولة، إلا أنه ظل لليمن واليمنيين شأن عظيم في كل أمور الدين والدولة والثقافة والفكر، فكان منهم القادة الفاتحون والفقهاء والعلماء والقضاة ورجال السياسة، غير أن هذه السياسة تغيرت مع حدوث الصراع بين علي ومعاوية وبعده، حيث تحول اليمنيون إلى وقود للحرب في الطرفين، يقتل بعضهم بعضاً، ولعل هذا هو ما تنبه له البعض وعلى رأسهم الأشعث بن قيس الكندي كبير أمراء جيش علي في صفين حين قال "والله ما هي إلا أننا نقتل بعضنا" وكان لتلك الانتباهة المتأخرة أثرها في حقن دماء من تبقى من الصحابة حيث أصر الأشعث ومن معه على التحكيم، وتغلبوا على الأشتر الذي كان يجرى علي القتال ورفض التحكيم(٧٠).

لقد لاحظ القاضي الشماحي وهو يفتش تاريخ اليمن في زمن الخلاف بين علي ومعاوية أن كل طرف منهم أرسل دعاته لاستصرخ اليمنيين في الداخل للحاق به في معركته ضد الطرف الآخر، فأخذ معاوية من مقتل عثمان مظلوماً شعاراً يستصرخ به اليمنيين للاحتشاد إلى معسكره نصرته للخليفة المغدور به، كما استصرخ دعاة علي اليمنيين في الدفاع عن قرابة الرسول وخليفة المسلمين الجديد من أهل الشام والروم، فنشأ من ذلك حزبان داخل اليمن وخارجه، الحزب العثماني والحزب الشيعي، وإلى جوار هذين حزب ثالث رافض لكليهما أطلق عليه الخوارج كان جله من اليمنيين الذين رفضوا قرشية الخلافة وطالبوا أن تعود البيعة لعامة المسلمين، وبذلك انقسمت اليمن على نفسها انقساماً عقائدياً تسيره أفكار سياسية مآكرة جعلت اليمنيين يقتل بعضهم بعضاً داخل اليمن وخارجه، لا لمصلحة اليمن ولا العرب ولا الإسلام، ولكن لمصلحة الشيطان وحزبه من أبناء الطلقاء القرشيين ومن حذا حذوهم في مرض الجنون بالمال والسلطة(٧١).

لقد كادت مرحلة الصراع بين علي ومعاوية والاتهام الذي نسب لأبي موسى الأشعري بعد قصة التحكيم، أن تشكل بداية الانتباهة لجزء بسيط من اليمنيين تجاه سياسة الاستنزاف والتجيش والاستبعاد

70-انظر، ابن الأثير، الكامل، موقعة صفين، ج ٣ ص ١٧٢-٢٠٠.

71- القاضي الشماحي، عبدالله المجاهد، اليمن الإنسان والحضارة، ٩٧-٩٨.

التي وقعوا فيها، وأنهم ليسوا سوى عدة الصراع القرشي القرشي، ولذا قرر البعض منهم الاعتزال وطالبوا أن يكون المنصب السياسي الأعلى (الخلافة) بين جميع المسلمين وليس حكراً على قريش، يذكر الشهرستاني: أنهم جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش شريطة العدل واجتناب الجور... فقد تمسكت تلك الفرقة بحجة أن القرآن الكريم لم يذكر نسلًا معينًا يكون منه الإمام، بل اشترط العدل فقط في الحاكم، كما في قول الله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ" (٧٢). احتجوا أن القرآن الكريم ليس فيه تحديد لقبيلة معينة، ولم يشترط أن يكون الإمام من قريش أو غير قريش، فالمعنى يدل على العموم، ولا يجوز تخصيصه بقريش احتجاجاً بالحديث الذي نقل عن أبي بكر الصديق يوم بيعة السقيفة، "الأئمة من قريش"، وأن ذلك الحديث لا يخص لفظ العموم ويقيده، ويجعل الأئمة من قريش لورود أحاديث أخرى لا تحمل هذا المعنى ولا تقيد العموم الذي أطلقه القرآن، ومنها أحاديث مخالفة للحديث الذي نقل عن أبي بكر في السقيفة، كقول الرسول ﷺ: "إن أمر عليكم عبد مجدع، يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا" وإذا لا وجه لتقييد العام بأي حجة لتعارض الأحاديث ويجب تقديم آية الشورى بين المسلمين على كل حديث (٧٣).

لقد شكلت تلك المطالبة المبكرة فزاعة مخيفة للنخبة القرشية بشكل عام، وللعناصر الفارسية والرومية التي انسلت تحت لواء الإسلام بشكل خاص، ذلك أن فتح المجال لكل المسلمين للترشح لمنصب الخلافة ومشاركة كل المسلمين في اختيار الخليفة سيخرج بالدولة الإسلامية إلى نموذج مختلف تماماً عن الفارسية والرومانية، كما أنه سيؤدي إلى تسلط الأغلبية الكاثرة في المجتمع الإسلامي، ومن ثم فوات الفرصة على الفرس والرومان من التحكم بالأقلية القرشية، وكانت إذ ذاك الأمة اليمنية تمثل السواد الأعظم للمجتمع والجيش الإسلامي، ومن هنا دق ناقوس الخطر لدى النخبة القرشية ولدى العناصر الفارسية والرومية على السواء، كما أثاروا حفيظة الفقهاء السنة والشيعة، لأن ما ذهبوا إليه في جواز أن تكون الإمامة في غير قريش مخالف لرأي الشيعة التي تقول بإمامة علي بن أبي طالب وهو قرشي، ولا تخرج الإمامة من أولاده، وأيضاً بخلاف ما ذهب إليه أهل السنة من أن شرط الإمامة أن يكون الإمام قرشياً (٧٤).

كان هذا السبب هو الدافع السياسي الخفي وراء إطلاق مصطلح خوارج ومارقين وبغاة على تلك الفئة التي كان أغلبها من اليمنيين، واتهامها بتكفير المسلمين حيث لا توجد بين أيدينا كتب ومؤلفات تعود لتلك الفئة التي سميت بالخوارج للحكم عليها، وإنما توصف بذلك الوصف من خلال ما نقله الرواة

72- انظر الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ١٥٧.

73- الشهرستاني، المرجع السابق، ١٩٥.

74- انظر، ابن خلدون، المقدمة، ص: ١٧٤.

من أحكام أطلقت عليهم من قبل غيرهم، وهو نفس الحكم الذي أطلقه لاحقاً الكاهن المجرم عبدالله بن حمزة على المطرفية من اليمنيين الذين رفضوا ادعاء حصر الأئمة في البطينين من آل علي بن أبي طالب، وأعمل السيف فيهم حتى أبادهم وسبي نساءهم وأطفالهم وهم أكثر من مائة ألف رجل.

إن القراءة الفاحصة للتاريخ الإسلامي ترشدنا إلى الخيوط الحقيقية لاستبعاد اليمن وتهميشها كلياً في التاريخ الإسلامي، بل واستهداف كل ما يتصل باليمن من حضارة وتراث ولغة، ومحاولة الفصل بين الأمة اليمنية والعرب بادعاء أن قريشاً وبعض القبائل العربية اليمنية في شمال الجزيرة لا تنتسب لليمن، وأن لديها نسب آخر هو العدنانية، تلك الحالة الاستبعادية لليمن حضارة وهوية وثقافة وحضوراً سياسياً وثقافياً، لم تكن من قبيل المصادفة، بل كانت عملاً قصدياً يقف وراءه مثقفون ومؤرخون وساسة كبار من العناصر الفارسية والرومية التي أدركت أنها لن تستطيع أن تعيد انتاج ذاتها ولا هويتها وثقافتها المعادية للعرب إذا استمر الحضور اليمني قوياً في التاريخ الإسلامي كبداياته، كما لن تستطيع قيادة الفكر والثقافة الإسلامية ولا تزوير التاريخ الإسلامي إذا ما آلت القيادة السياسية والثقافية للأمة إلى أقيال اليمن، ذلك أن لديهم من الموروث الحضاري العربي ما يواجهون به دسائس وتخرجات العناصر الفارسية والرومية، ومن هنا نجد العناصر الفارسية والرومية تقترب بشدة بعد صفين من النخبة القرشية بشقيها الأموية والعلوية، وتسعى في كل ذلك لاستبعاد كل ما يتصل باليمن أو تشويهه، كما تسعى لابتكار هوية تاريخية لقريش وبعض القبائل العربية تحت مسمى العدنانية^(٧٥)، لتصبح تلك الأكذوبة مطيتها لاستبعاد الحضارة اليمنية والعناصر اليمنية.

يبدو بالفعل أن النخبة الفارسية والرومية استطاعت أن تقنع النخبة القرشية بأن المنافس الوحيد لها هي النخبة اليمنية، وأن عليها مد يدها للعناصر الفارسية والرومية ومنحها الثقة لتتولى مهمة المواجهة الثقافية لليمن واليمنيين، وكان من نتائج ذلك استبعاد الأمة اليمنية من ساحة التأثير الإسلامي في كل المجالات، بدءاً بالمجال السياسي، فقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية الإجماع على كون الإمام قريشياً... بالاستناد إلى حديث "الأئمة من قريش"، قال الشافعيون فإن لم يوجد قرشي فكناني أو خزيمي، فإن تعذر فمن ولد إسماعيل، فإن تعذر اعتبر كونه من بني إسحاق... بل قد نصوا أن الهاشمي أولى بالإمامة من غيره من قريش. فلولا المعرفة بعلم النسب لفاتت معرفة هذه القبائل وتعذر حكم الإمامة العظمى التي بها عموم صلاح الأمة، وحماية البيضة، وكف الفتنة، وغير ذلك من المصالح."^(٧٦).

أول من ابتكر مصطلح العدنانية هو المؤرخ الفارسي محمد بن السائب الكلبي في زمن الأمويين ومن بعده ابنه هشام بن محمد السائب الكلبي، وهو الذي ألف في ذلك كتاباً اسماء النسب الأعلى ذكر فيه ان فحطان وعدنان اخوة لاسماعيل عليه السلام ولم يكن احد من المؤرخين قال ذلك قبله ، وهو ما يؤكد الدكتور جواد علي في كتابه 75- المفصل ج ٢ ، من أن قصة الأنساب ابتكرت بسبب المنافسة التي ظهرت بين اليمنية والقرشية في العصر الأموي.

انظر ، القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة

76- .أنساب العرب، ص ٧، وانظر الماوردي الأحكام السلطانية ص ٥٠٦. ولم يورد الماوردي تفصيل الشافعية في الإمامة

هنا يتضح بشكل صريح كيف سار الفقه السياسي إلى جوار الرؤية السياسية العامة للدولة مستبعداً كون الخليفة يمكن أن يكون من سبأ أو حمير أو كهلان أو كندة أو حضرموت أو أي من القبائل اليمنية أو العربية المتصلة صراحة باليمن كالغساسنة والمناذرة وقضاعة وغيرهم، وإذا كان هذا الرأي منقولاً عن فقهاء الشافعية وقد أدرج بني إسرائيل واستبعد الأمة اليمنية، فإنه لدى الشيعة أبعد من ذلك، حيث اندمجت أغلب العناصر الفارسية بالتحديد، فصارت من فئة الهاشميين وأكذوبة آل البيت، وبذلك حق لها أن تتسلم المناصب العليا في الدولة الإسلامية، ولعل في نموذج العصر العباسي الأول والثاني والثالث خير مثال على ذلك، فهو يبدأ بتولية أبي مسلم الخراساني بلاد خراسان واعتباره نائباً للخليفة على جهته، وينتهي بعدد كبير من العناصر الفارسية تتحكم ببلاط الخلافة وتتقاسم النفوذ مع العناصر التركية، ويأتي العصر العباسي الثالث حكراً على العناصر الفارسية البويهية التي تنتمي للأسرة الساسانية، وحينها سعى الفرس لاحتلال اليمن من خلال الحركة الرسية الهادوية.

لعل أبرز مثال على الحلف الثلاثي ما نتج عن العصر العباسي الثاني والثالث من تقاسم ثلاثي للسلطة والدولة، بين العباسيين القرشيين والأتراك والفرس في بغداد نفسها، وتجسيد ذلك التقاسم الثلاثي في العالم الإسلامي على هيئة دول وحركات منفصلة، حيث سيطر الفرس على الدولة الفاطمية الإسماعيلية في مصر والتي كانت تسمى العبيدية في المغرب سابقاً، وأصبح الفاطميون يشكلون امبراطورية بديلة للخلافة العباسية، بينما تشكلت بعض العناصر الرومانية اليهودية الأصل في الدعوة الإسماعيلية بقيادة ميمون القداح الروماني اليهودي الأصل، ثم حمدان قرمط فنشأت منها الحركة القرمطية التي تحكمت ببلاد الشام والبحرين بضع سنوات، واكتفت الخلافة العباسية في بغداد بالاسم والراية وخطبة الجمعة للخليفة، وفي بعض الأحيان كانت تسلب منه، ومع ذلك ظلت العناصر القرشية العباسية توجه الخصومة لليمن وتغذي نزعة العدنانية ضد القحطانية، وتدفع بالشعراء والمؤرخين للانتقاص من اليمن وأهلها وتاريخها وحضارتها.

في الحقيقة يمكن مشاهدة التأثير الفارسي والروماني في أحداث التاريخ الإسلامي منذ وقت مبكر، فحادثة اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب حملت بصمات فارسية ورومانية مشتركة، نفذها أبو لؤلؤة المجوسي الفارسي، ووقف خلفه سيده ولي عهد ملك الفرس - سابقاً - الهرمزان بن يزيد واشترك معهم جفينة النصراني (٧٧)، وربما شارك آخرون لم يظهروا في القصة عند التحقيق.

وفي مقتل عثمان تظهر بصمات العناصر الفارسية والرومية من خلال الثورة التي قدمت من الأمصار من مصر والعراق (٧٨)، لكن وبعد تنفيذ الخطة الفارسية الرومانية قيد الاخباريون المؤامرة التي حركت المجتمع الإسلامي من المدينة إلى مصر إلى العراق إلى الشام برمتها ضد مجهول نسبوه لصنعاء تحت مسمى

77- انظر ابن الأثير، الكامل، ج ٣، قصة مقتل عمر بن الخطاب،

78- انظر، السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان، جلال الدين، ٢٧٠-٢٧٤.

عبدالله بن سبأ، وهم لا يعرفون اسمه كاملاً ولا نسبه ، ولم يلتقوا به أو يتعرفوا عليه أو يظهر كشخصية حقيقية يعرفها الناس، وكأننا نقرأ عن عفريت سليمان الذي نقل عرش بلقيس - حسب هرطقات المفسرين- إلى فلسطين ولكن لا يوجد أثر تاريخي محسوس لذلك الانتقال! والحقيقة أنها مؤامرة فارسية رومية مشتركة بدأت خيوطها من قبل فتح بلاد الفرس بثلاث سنوات من خلال تحالف سياسي عسكري بين الفرس والروم لمواجهة الإسلام والعرب، تعمدت بمصاهرة ثنائية بين شيرويه و هرقل بزواج أبنائهما من بعض، ولكنهم لما كانت الحملة العربية ضدهم مفاجئة، ومستفردة بكل طرف بمفرده انهزموا، لكن دون انفراط ذلك التحالف حيث انعكست نتائجه في اغتيال عمر بن الخطاب، ثم في الثورة ضد عثمان، ثم في تغذية الصراعات السلطوية بين علي ومعاوية، حتى تحكمت العناصر الفارسية والرومية بتسيير المشهد السياسي والثقافي معاً، واكتفت العناصر القرشية بصورة الملك والدولة.

في صراع علي ومعاوية انزوت العناصر الفارسية إلى معسكر علي، بينما انزوت العناصر الرومية إلى معسكر معاوية (٧٩)، وسيراً مع الأحداث نجد العناصر الفارسية والرومية كلاهما تقترب من السلطة الأموية، وفي ذات الوقت تغذي النزعة الهاشمية حتى تتشكل خارطة أيديولوجية جديدة للصراع السياسي مكونة من سنة وشيعة، وللشيعة فرق عدة كما للسنة كذلك، وليس أمام اليمينيين والعرب إلا أن يحددوا وجودهم ضمن الحزبين الكبيرين أو ضمن تفرعاتهما لينسلخوا في إطار الصراع الطائفي.

لقد انطلت الخدعة الفارسية الرومية على النخبة القرشية بشكل كبير في العصر الأموي والعباسي، حيث صورت لهم أن اليمينيين هم الخصم الأوحدهم الذي يحمل نزعة المنافسة لقريش، وأن اليمينيين ربما يتمردون على الدولة إذا ما حازوا القوة والسلطة في أيديهم، وأن على السلطة الأموية والعباسية ألا تترك للنخبة اليمينية أي مجال للاستقواء بالملك والسلطة أو الجيش.

لقد كان هذا التوهم هو الدافع الرئيس وراء حصر معاوية بن أبي سفيان الخلافة قصرًا في قريش برواية حديث " الأئمة من قريش " بهدف صرف التفكير في إمكانية أن يكون لغير قريش حظ في الخلافة، وبالتالي تحويل قريش القبيلة إلى سلطة سياسية شرعية مسنودة بنصوص دينية، ليصبح الخروج عن سلطة قريش خروج عن الدين ذاته (٨٠)، وفي اتجاه آخر نجد الخليفة معاوية في لقاءاته بوفود القبائل العربية يهتم كثيراً بتضخيم قريش على غيرها ويضع بين قريش واليمانية حدوداً تاريخية فاصلة، وكأنه يبحث عن مستند تاريخي يميز قريش عن اليمن والعرب، وهو ما ظهر لاحقاً في أعمال النسابين الفرس ومن تأثر بهم تحت مسمى العدنانية المنافسة للقحطانية واليمينيين والعرب، ليصبح للعرب أصلين وليس أصل واحد، ليزعم البعض أن قريش وبعض القبائل لا تنحدر للأصل اليمني الذي ينحدر منه كل العرب، وأن

79-انظر الماوردي الأحكام السلطانية، ص ٢٩-٣.

80-أ.د حسين العسني، تعيين معن بن زائدة والياً على اليمن الأسباب والنتائج، مجلة دراسات محكمة، عدد ٥٣، ٢١، ٢٠٢١ م، ص ٩٢.

النبي(ص) من هذا الأصل المختلف الذي يقترب - كذبا- من بني إسرائيل ويفترق - زورا- عن العرب اليمنيين^(٨١).

وفي الميدان السياسي والعسكري تحديداً نجد الشواهد الكثيرة لتأثير الحلف الفارسي الرومي على النخبة القرشبية في استعمال سياسة القمع والتهيب تجاه اليمنيين، فقد أظهرت معركة صفين انقسام اليمنيين بين المعسكرين وأنهم كانوا وقود المعركة وأبطالها من الطرفين، لذا قرر معاوية بعد حادثة التحكيم تأديب اليمنيين لما جاءه خبر أن أهل اليمن في الداخل منقسمين -أيضا- بينه وبين علي، فأرسل إلى اليمن بسر بن أرطأة على رأس جيش كثيف جداً بغرض إرهاب اليمنيين وضمهم لحلف الأموية، فلما وصل بسر بن أرطأة إلى صنعاء يشايعه بعض أهل الشام وبعض اليمنيين أنصار معاوية، أعمل السيف في صنعاء ونجران والجند، فلم يخرج من اليمن إلا وقد قتل ثلاثين ألفاً ممن يظن أنهم أنصار لعلي، وكان فيهم كثير من النساء والأطفال^(٨٢).

وحينما بلغ علي ما صنع بسر بن أرطأة بأنصاره في اليمن، أرسل علي جيشاً إلى اليمن بقيادة جارية بن قدامة السعدي، فلما علم بسر بن أرطأة بمقدم جيش السعدي فر وعاد إلى الشام تاركاً اليمنيين أنصار معاوية وعثمان لسيوف شيعة علي، وكانوا في بعض الروايات لا يقلون عن مائة ألف رجل، فقام جيش علي الذي أرسله إلى اليمن لتأديب أرطأة بقيادة السعدي بإعمال السيف في رقاب كل أبناء المناطق التي أظهرت ولاءها لمعاوية وعثمان، فأكلت سيوف جارية السعدي وشيعة علي من اليمنيين ما يقارب مائة ألف شخص، وروى بن أبي الحديد أنهم تتبعوا العثمانيين أنصار معاوية في المدن والجبال والشعاب وقتلهم شر قتلة^(٨٣).

وإذا كان هذا القمع الشديد والمذابح الجماعية بعشرات الآلاف قد طالت اليمنيين في عقر دارهم من خلفاء قريش المتصارعين على السلطة، وفي نفس لحظة الصراع، لمجرد أن اليمنيين انقسموا على أنفسهم في مناصرة الفئتين، فإن هذه السياسة وأفظع منها على الأرجح قد استمرت قاعدة عامة للخلفاء القرشبيين طوال العصرين الأموي والعباسي، وبنفس الوتيرة، تدل على ذلك الأحداث المتواترة، ففي أيام الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك قام القليل عباد الرعي بثورة بسيطة في مناطق اليمن الوسطى يطلب

82- ابن عساکر ، تهذيب الكمال ج ٤، ص ٥٩.

خلص الدكتور جواد علي في بحثه عن أنساب العرب العدنانية والقحطانية - كما في المجلد الأول من المفصل- أنه ليس لعدنان ذكر في ، ولم يرد ذكره في التوراة من ولد إسماعيل رغم أن التوراة تحدثت عن إسماعيل وولده، كما تحدثت عن قحطان ولم تجعل بين قحطان وإسماعيل اتصال، أما الشعر الجاهلي فلا وجود فيه لعدنان ولا لقحطان كنسب، وأقصى ما وجدته في شعر الأخنس من ذكر لبعض القبائل العربية هي تغلب وبكر ومعد ولكيز ولخم وکلب وغسان، وهي متداخلة بشدة بحيث لا يمكن الفصل بين اليمانية والتزيرية، أما العدنانية فليست موجودة عند العرب قبل الإسلام كنسب، ولم يظهر اسم عدنان في الشعر الجاهلي ولا النقوش والآثار مطلقاً، وربما احتج البعض بأن الخليفة عمر هو من أمر بتدوين أنساب العرب من أجل ديوان العطاء، غير أن جواد علي يقرر بعد بحث وإلمام أنه لم تظهر العدنانية ولا القحطانية في تدوين أنساب العرب أيام عمر والخلفاء، وإنما صنفت دواوين القبائل بحسب سكنائها، ولا يوجد في الشعر الجاهلي ولا في القرآن ولا السنة ما يشير إلى أن العرب من أصلين مختلفين، وإذا كان اليمنيون في الجاهلية قد فاحروا بأنسابهم القحطانية فلا يوجد من شعراء الجاهلية العرب من فاحر بنسبته إلى عدنان، وعلى أرجح الظن أن العدنانية والقحطانية ابتكار النسابين في

83- العصر الأموي دافعه الصراع بين الأمويين واليمانية، انظر جواد علي المفصل، ج ١، ص ٤٦٦-٥٠٦.

سلطة ذاتية لإقليمه، فلم يكن من والي هشام في اليمن يوسف بن عمر الثقفي إلا أن أرسل لهشام بن عبد الملك يطلبه المدد بجيش ومال، ثم أجهز على عباد الرعيبي ومن معه، واختفى عباد في ظرف غامض^(٨٤).

ونرى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ت ١٥٨هـ ينتصر لقريش من ثورة عبدالله بن يحيى الكندي التي وصلت إلى مكة في أواخر الدولة الأموية في ١٣٠هـ، رغم أن ثورة الكندي قُضي عليها في حينه من قبل القائد عبد الملك بن عطية السعدي الذي أرسله الخليفة الأموي مروان بن محمد لتأديب الكندي، فقضى على ثورته في مكة والمدينة ثم لحق بأتباعه إلى صنعاء وحضرموت وأحدث فيهم إبادة جماعية في منطقة شبام حضرموت غدرًا في الليل، حتى قيل أنهم قتلوا ثمانين ألفاً من الرجال والنساء والأطفال ولم يتبق في الديار من أهلها من يقطنها، ثم أحرق ديارهم ومساكنهم^(٨٥).

رغم ذلك عاود الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الانتقام لقريش مجدداً فأرسل معن بن زائدة والياً له على اليمن على رأس جيش كبير من العراق، فلما وصل معن اليمن عين أخاه والياً على المعافر أو قيل حضرموت، وكان سيء السيرة فثار الناس عليه وقتلوه، فقدم معن إلى المعافر وقتل من أهلها ألفين وهدم القرية التي قتل فيها أخوه، ثم عاد معن إلى صنعاء وجهز جيشاً كبيراً لغزو حضرموت فأغار على أهلها وقتل منهم أكثر من خمسة عشر ألف رجل^(٨٦)، وقد كانت هذه المجازر الجماعية التي كان يلحقها الولاة الأمويون والعباسيون بأهل اليمن بدافع القمع لليمنيين واستتصال فكرة السلطة والاستقلال الذاتي من نفوسهم، واخضاعهم للتبعية المطلقة والخضوع التام لسلطة قريش وحلفائها الجدد.

ويظهر تأثير النخبة الفارسية الرومية جلياً في سلوك الخلفاء الأمويين والعباسيين تجاه النخبة اليمنية في الفتوحات، حيث نرى بعض قادة الفتح الإسلامي من اليمنيين تعرضوا للاغتيال السياسي فور تحقيق انجازاتهم العظيمة، إذ تم استدعاؤهم إلى دمشق حاضرة الخلافة الأموية، وهناك تم رميهم في السجون حتى الموت أو اختلاق مسببات لإعدامهم، ومن ذلك مثلاً اختفاء القائد اليمني طارق بن زياد بعد استدعاء الوليد بن عبد الملك له بعد فتح الأندلس، حيث وفد الشام مع موسى بن نصير قائد الفتح وكلاهما يمنيان، فعزلهما الوليد بن عبد الملك عام ٧١٤م، واتهمهما باختلاس أموال الدولة، وقد سُجنوا آنذاك في سجن موحش، وتوفي طارق بن زياد في ظروف غامضة^(٨٧).

أما موسى بن نصير فأشاعوا حوله الأقاويل، وقالوا أنه أراد الاستقلال عن الخلافة بُحجة تأخره في القدوم إلى الشام لما استدعاه الخليفة، فأهان الوليد وأبقاه في حرّ الشمس حتى أُغمي عليه ثم احتسبه في سجنه، وبينما هو في السجن جاءه نبأ مقتل ابنه عبدالعزيز بن موسى والي الأندلس، حيث قتل بأمر

84- نفسه، ص ١٠١.

85- انظر، د. حسين العنسي، تعيين معن بن زائدة، مرجع سابق، ص ٩٣.

86- نفسه، ٩٧-٩٨.

87 - "Tariq ibn Ziyad", britannica, Retrieved 30/5/2021. Edited. -

الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي تولى الخلافة بعد موت الوليد، وحملت رأسه إلى الخليفة سليمان بن عبد الملك، فعرض رأسه على موسى بن نصير قائلاً: "أتعرف هذا؟"، فقال: "نعم أعرفه صَوَّامًا قَوَّامًا، فعليه لعنة الله إن كان الذي قتله خيرًا منه"، وما لبث سليمان بن عبد الملك أن اصطحب معه موسى بن نصير للحج فتخلص منه في الطريق في مكان يسمّى وادي القرى^(٨٨)، وكان ذلك في عام ٩٧ هـ، ثم أذيع أنه مات في الطريق ودفنه الخليفة.

بالنسبة لليمن تركزت سياسة الخلفاء والولاة الأمويين والعباسيين في البدء على عدم السماح لليمنيين بحكم بلادهم مطلقاً، واعتبار ظهور أي نزعة استقلال في اليمن أو مطالبة بحكم ذاتي ردة عقديّة ودينية يلزم قمعها، وفي الجانب الآخر فتحت أبواب الفتح أمام اليمنيين على مصراعيها ودعوا للجهاد بكل صوت، وهنا صارت اليمن - حسب وجهة نظر أهلها - غير حاضنة لطموحاتهم، بينما وجدوا في الفتوحات بديلاً تعويضياً عن الحرمان، ومن ثم اندفعت النخبة اليمنية للخروج في الفتوحات بأسرهم وأبنائهم، فلم تكن الفتوحات بالنسبة لليمنيين حروباً عسكرية يخرج إليها المقاتلون فحسب، وإنما كانت متنفساً تخرج إليها الأسر بالأطفال والنساء فتنتصر أو تموت، فإذا انتصرت استقرت وباعت ما تملك في اليمن^(٨٩).

هذه الظاهرة تكررت منذ خلافة أبي بكر الصديق (ض) وحتى نهاية الدولة العباسية والفاطمية، بل إن البعض يؤكد تكرار ظاهرة هجرة الأسر اليمنية في عصر الأيوبيين رغم اشتغال الداخل اليمني بصراعات وحروب مذهبية وافدة، ولربما تحجج البعض بأن هجرة الأسر اليمنية في الفتوحات كانت بسبب ضيق العيش وفقر البيئة، ولكن الملاحظ أن الذين كانوا يخرجون للفتوح والهجرة كانوا من الأسر الميسورة القادرين على تجهيز أنفسهم للهجرة والقتال، بل إن بعضهم من كبار القوم في بلادهم، فلقد أتى قيس الخارفي الهمداني - وهو إذ ذاك سيد قومه - عمر بن الخطاب في المدينة فقال له: يا أمير المؤمنين إن أهلي يريدون الهجرة فكتب عمر إلى واليه في اليمن أن يسمح لهم بالهجرة فهاجروا^(٩٠).

والتفسير الوحيد لظاهرة الهجرة الجماعية للأسر اليمنية هي أن النخبة السياسية والاجتماعية في اليمن لما رأت أن أبواب الطموح السياسي أوصدت أمامها في الجزيرة العربية، قررت الهجرة إلى البلاد التي تفتح في أطراف الإمبراطورية الإسلامية بحثاً عن التعويض النفسي، ويفسر هذا ما رواه المؤرخون من أن ثلاث فرق من المهاجرة اليمنية أيام عمر كرهت الذهاب إلى العراق للاشتراك في حرب الفرس وفضلوا الالتحاق بالشام، وذلك لأن الدفعات الأولى من جيش الفتح في بلاد الشام كانت من الأزد وحمير وهمدان وخولان ومدحج، بينما كانت الدفعات الأولى من جيش العراق من مضر وربيعة^(٩١).

⁸⁸- يحيى شامي (٢٠٠٥). موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الفكر العربي، صفحة ٢٨-٣٨. بتصريف

⁸⁹- انظر الطبري، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٨٠.

⁹⁰- الجعدي، ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن، ٣٨.

⁹¹- الشجاع، اليمن في صدر الإسلام، سابق، ص ٣١٠.

لم تكن هذه المؤشرات سوى البدايات الأولى لإشكالية الاستلاب السياسي الذي لحق بالأمة اليمنية في التاريخ الإسلامي، فإذا ما توغلنا في التاريخ العباسي سنجد اليمن تتحول إلى ساحة صراع وتقاسم مذهبي وسياسي بين دعاة الشيعة الهادوية والشيعة الإسماعيلية، وبإشراف وموافقة العباسيين أنفسهم، وصارت اليمن تستهوي أعلام الشيعة، فإذا (برستم) منصور بن حوشب يقدم إلى اليمن داعية للإسماعيلية، ويحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم الطباطبائي الرسي يفد اليمن غازياً باسم نشر الدعوة الزيدية، ومن هذا التاريخ ظهر الصراع المذهبي بين هذين الحزبين الشيعيين الخطيرين في اليمن كما شن الحزبان حرباً على الدولة اليعفرية اليمنية للقضاء عليها^(٩٢).

وبعد فترة قصيرة يلتحق بهم ابن عمهم العلوي أحمد بن عيسى المهاجر داعية للصوفية العلوية ويستقر في حضرموت، وهكذا تجتمع في اليمن دعوات العلوية الشيعية والسنية في آن واحد فتتقاسم جغرافيا اليمن في حين أكتفى الولاة العباسيون في صنعاء بأخذ الزكاة والإتاوة من الناس وتقاسم النفوذ مع الهادويين الرسيين.

لقد تشكلت في اليمن بفعل ذلك الغزو المذهبي والوصاية العباسية والفاطمية صراعات مذهبية وطائفية محمومة بين هذه المذاهب الشيعية والقبائل اليمنية بهدف إخضاعها للتشيع من جهة، وبين طريقي التشيع العلوي الهادوي والفاطمي من جهة أخرى، وبين التشيع والتصوف من جهة ثالثة، وعلى مدى أكثر من ثلاثة قرون ظل اليمنيون وقوداً لتلك الحروب والصراعات المذهبية الشيعية حتى منتصف القرن السادس الهجري، وإذا كانت الدعوة الفاطمية قد اختفت من اليمن بانتهاء الصليحية، فإن معارك الهادوية الرسية ضد اليمنيين تحت دعوى انتزاع الحق الإلهي لم تتوقف، وفي كل جيل لا بد من إمام أو أكثر يخرج شاهراً سيفه، ولا بد أن يقتل من اليمنيين الآلاف ليصل على جماجمهم إلى الإمامة.

يتجسد مشهد الاستلاب السياسي ويتكثف في أعلى صورته في الفكر السياسي الهادوي الرسي الذي نشأ من أول لحظة وطأ اليمن على وجوب حصر الإمامة والحكم في البطنين من أبناء فاطمة وعلي بن أبي طالب، واعتبار ذلك حق إلهي لا يجوز التعدي عليه، والحكم على من لا يقَرّ بذلك بالكفر والردة، وهو ما يعني سلب اليمنيين حقهم في حكم بلادهم، واعتبارهم مجرد رعايا لدى سلطة استعمارية وافدة، فإذا كان اليمنيون في العصرين الأموي والعباسي قد قاوموا سلطة الإمبراطورية الإسلامية في دمشق وبغداد طلباً للحكم الذاتي، فإن الهادوية الرسية منذ مقدمها في ٢٨٠ هـ قد حرمت على اليمنيين حكم بلادهم تحريماً مؤبداً، واعتبرت مجرد المطالبة بذلك أو المنافسة عليها من الكبائر الموجبة للكفر والمروق من الدين، وهي صورة استعمارية حقيقية مغلقة بأكدوبة البطنين والولاية وفرية آل البيت، وهو الاستلاب الأكبر الذي ما زلنا نحمل وزره حتى اليوم في صورة الميليشيا الحوثية الإرهابية التي تقاتل اليمنيين منذ ١٧

⁹²- الشماحي، عبدالله، اليمن الإنسان والحضارة، سابق، ٩٨.

عاماً تحت دعوى المطالبة بالحق الإلهي، ولن تقوم لليمن واليمنيين دولة وحضارة حتى تقتلع هذه الخرافة من جذورها وتحرق وتدفن كل الكتب والمؤلفات والأفكار التي سوت وتسوق لها في اليمن.

ج- الاستلاب الثقافي

يشير مصطلح الاستلاب بشكل عام إلى استفراغ الذات وتغييبها لصالح الوافد أو الآخر سواء كان استلاباً سياسياً أو هوياتياً أو ثقافياً، وفي ميدان الثقافة يتخذ المصطلح معنى التضاد الكلي مع الخصوصية الثقافية، فالاستلاب الثقافي يعني إلغاء الخصوصية الثقافية للمجتمع بهيمنة وافد ثقافي يمتلك سلطة الهيمنة والفرص والقدرة على الاحلال محل الثقافة الأصلية.

ويعرف الاستلاب الثقافي بأنه ظاهرة يستخدم فيها الأشخاص عناصر من ثقافة وافدة أو غير مهيمنة بطريقة لا تحترم معناها الأصلي، ودون تقدير لمصدرها وتاريخها فتتشوه بذلك الصورة الحقيقية للثقافة الأصلية للمجتمع، وقد تسهم ثقافة الوافد الاغترابي في حدوث اضطهاد للمصدر الثقافي للمجتمع، ويمكن أن يحدث الاستلاب الثقافي بطريقة غير مقصودة، من خلال دمج الثقافات للعديد من الاختراعات المميزة، وعلى الرغم من أن مزج الثقافات المختلفة واختلاطها مع بعضها البعض أمر طبيعي، ناتج عن اجتماع الناس ذوي الثقافات المختلفة مع بعضهم البعض، إلا أنه في حال استخدمت ثقافة معينة غير أصيلة بصورة استغلالية فإن ذلك يولد بعض الأضرار على ثقافة المجتمع^(٩٣).

إن الثقافة بمعناها العام تشتمل على كل مقومات المجتمع التاريخي، فهي تعني المعرفة والعلوم والقيم والعقائد والقانون والعادات والصناعة والحرف والأعمال والأخلاق وكل ما يتصل بالمجتمع، وهي الوجه الآخر لمعنى الحضارة، والدولة وسياساتها المختلفة في كل الميادين بما فيها التربية أداة الثقافة، وإذاً فإن الاستلاب الثقافي لمجتمع ما يعني مصادرة خصوصيته الثقافية بإخضاعه لثقافة وافدة تدمر ذاته الحضارية وتسلبه القدرة على المقاومة والممانعة. وفي العادة تستخدم سياسة الاستلاب الثقافي ثلاثة أساليب:

١- أسلوب الإنكار: ويتم بإنكار الماضي أو التبخيس منه وإقناع المجتمع بعدم جدوى الرجوع إليه أو الاعتزاز به.

٢- أسلوب التخصيص: ويقصد به إقناع المجتمع بتقبل أي شيء غير متعلق بثقافته والتعامل معه كثقافة بديلة لثقافته الأصلية.

٣- التشويه الثقافي: ويتم بتبني فرد أو جماعة لعنصر محدد من الثقافة لهدف تشويهه أو إهانة أو إذلال الأفراد الذين ينتمون لهذه الثقافة، وتتم من خلال فرض صورة نمطية سلبية بطريقة معينة.

إن الهوية الثقافية والحضارية للأمة أو المجتمع تعني الثوابت المستقرة المكونة لشخصيته التاريخية ووجهته الحضارية، وهذه الثوابت تتجدد بمتغيرات العصور ولكنها لا تتغير ولا تزول، ولا تخلي مكانها وموقعها للغير طالما بقيت الذات على قيد الحياة (٩٤).

كل هذه الأساليب مورست على الأمة اليمنية في التاريخ الإسلامي وبشكل ممنهج، ونعتقد أن ثمة عناصر فارسية ورومية كانت تقف وراء تلك التعبئة التي كانت تستهدف تاريخ اليمن وحضارته ونخبته، بدءاً من تعميم مصطلح الجاهلية والوثنية على كل فترات التاريخ العربي ما قبل الإسلام، مروراً باستهداف التراث الحضاري لليمن، وقطع اتصال العرب بلغتهم التاريخية المسندية القديمة بادعاء أنها لغة مغايرة للعربية، ثم ابتكار العدنانية المنافسة للحضارة اليمنية بدون أي مسند تاريخي أو حضاري، وانتهاءً بتشويه واستهداف الرموز الثقافية والقيادات التاريخية اليمنية في العصرين الأموي والعباسي.

ومع كل الاستهداف الممنهج للتاريخ والهوية والحضارة والتراث المعرفي اليمني القديم، كان يجري التأكيد على القرشية والهاشمية العلوية كقيم ومضامين عليا تتمركز فيها فكرة الإسلام وقيمه وتعاليمه، وهنا استطاعت هذه المؤامرة تحقيق أهدافها باتجاهات عدة: الأول التخلص من الموروث الحضاري العربي القديم كيلا تستطيع الثقافة الإسلامية أن تقيم للعرب شخصية تاريخية جديدة مستقلة عن الفرس والروم. وأما الهدف الثاني فهو تحويل الإسلام إلى مشروع أقلية غير قادرة على النهوض به كحضارة امبراطورية أو حمايته كثقافة عربية خالصة، ومن ثم يسهل على أمة الفرس والروم اختطاف الإسلام وسلطته من يد تلك الأقلية وإعادة إنتاج الشخصية الفارسية والرومية من خلال الإسلام نفسه، وهو ما حدث عملياً فيما عرف بالتشيع الفاطمي والبويهلي، والعثمانية، حيث نلاحظ أن عوامل القوة في التاريخ الإسلامي حينما افتقرت للمستند التاريخي اعتمدت على الأشخاص، وبذلك انحصرت عند أربعة أو خمسة ملوك أو خلفاء، معاوية وعبد الملك بن مروان من الأمويين، وأبو جعفر المنصور وهارون الرشيد من العباسيين، أما ما دون ذلك فالخلفاء مجرد دمي تحركهم العناصر الفارسية أو التركية.

إن القارئ لتاريخ اليمن الوسيط والحديث والمعاصر، وخاصة منذ مطلع القرن الثاني الهجري وما بعده حتى اليوم، يدرك حجم الاستلاب الثقافي الذي مورس على الأمة اليمنية في كل جيل، وبشكل ممنهج ومستمر، وكيف تم التعامل مع الموروث الحضاري للأمة اليمنية، حيث ترشدنا كتب التراث الإسلامي إلى بعض الأحكام الاستلابية التي مورست على اليمن في عصر ما بعد النبوة إذ وصف اليمنيون بأنهم عبدة أوثان وأصنام! (٩٥)، وأن حضارتهم حضارة وثنية وجاهلية يجب التخلص من نخوتها

⁹⁴ - محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، ط ١٩٩٠، ص ٦.

انظر، الشجاع، عبد الرحمن، اليمن في صدر الإسلام، ٥٥.

وانظر هشام الكلبي الفارسي كتاب الأصنام ص ٥٧، حيث ادعى أن يعوق صنماً كان تعبد همدان في قرية خيوان قبل الإسلام، وأنه كان لخلوان صنم يسمى عيمانس، وأنه كان لكندة صنم يسمى ذريح، وكان لحضرموت صنم يسمى الجلحد، وللأشعريين صنم يسمى المنطبق، وكذلك يغوث صنم لمعاد، وأن نسرأ

⁹⁵ - صنم لحمير، ومن المعروف أنها أصنام نسبها القرآن الكريم قوم نوح في العصور الغابرة قبل ٦٠٠٠ عام من بعثة محمد (ص)

وتمثالها!، وأن معابدهم كعبات تنافس الكعبة المشرفة يجب هدمها!، وأن قصورهم العالية مفاخر يعتزون بها على الإسلام والعقيدة! (٩٦)، وأن مسندهم ولغتهم السبئية الحميرية ليست لغة العرب ولا لسانهم الأقدم! وأن لغة اليمنيين أقرب للعجم منها إلى العرب (٩٧)، وأن قحطان وسبأ وحمير نسب قبائل وليست حضارات!، وإن قحطان أخو عدنان أبناء لإسماعيل (٩٨) وأن ما عرف بحضارة التبابعة لم تكن سوى ممالك قبلية متناحرة! وإن ذا القرنين فارسي أو مقدوني وليس يعني من التبابعة! وأن السبئيين ظلموا أنفسهم بأن طلبوا من الله أن يباعد بينهم وبين أرزاقهم! وأن عرش سبأ أو عرش بلقيس احتمله جن سليمان إلى فلسطين! وأن اليمن احتلت من الفرس والروم! وأن اليمنيين شابعوا ابرهة الحبشي في هدم الكعبة فأرسل الله عليهم طيراً أبابيل! وأن ثورة اليمنيين ضد الفرس ردة وكفر عن الإسلام! وأن كبار الصحابة من اليمنيين أمثال قيس بن مكشوح وذي الكلاع الحميري ومعد كرب الزبيدي ارتدوا عن الإسلام وتعصبوا لقومهم (٩٩)! وأن اليمنيين مجرد أنصار لقريش أتباع لها وليسوا أسياداً! وأن التشيع خرج من اليمن وكذلك الفتنة! وأن اليمنيين كانوا سباقين للفتن! وأن شخصية وهمية تدعى عبد الله بن سبأ وهو يهودي صنعاني كانت وراء مقتل عثمان وانتشار التشيع وتأليه علي بن أبي طالب! وأن اليمن واليمنيين كرموا بمحبة آل البيت والهاشميين! وأن الهمداني ونشوان الحميري كانوا متعصبين وعنصريين لمعارضتهم لآل البيت! وهكذا دون حصر، فما من منقصة ولا مذمة إلا نسبها المؤرخون الفرس لليمن واليمنيين تشويهاً لحضارة اليمن وتبخيساً للأمة اليمنية واستبعاداً لها عن دائرة الفاعلية في التاريخ الإسلامي.

دعونا نضرب بعض الأمثلة لكيفية الاستهداف الممنهج الذي جرى من قبل المؤرخين والمفسرين الفرس للتاريخ الحضاري لليمن، وكيف تناقله عنهم الاخباريون العرب بالتسليم وكأنه حقائق ثابتة، فيما

قصر غمدان العظيم هدم في زمن عثمان بن عفان بسبب أن واليه على اليمن رفع له بخبر أن أهل اليمن يعظمون قصر غمدان، فأمر عثمان بهدمه ظناً منه أن اليمنيين يعبدونه، قال المسعودي في مروج الذهب: بيت غمدان بمدينة صنعاء من بلاد اليمن، وكان الضحاك بناه على اسم الزهرة، وخربه عثمان بن عفان، فهو في وقتنا هذا ٣٢٣هـ- خراب قد هدم فصار تلاً عظيماً. انظر الفرغ تاريخ صنعاء القديم، ص ٦٩

قال أبو عمر بن العلاء: (ما لغة حمير بلغتنا ولا عربيتهم بعربيتنا)، انظر طه حسين في الأدب الجاهلي، ص ٧٥، وقد تسبب هذا الاتجاه مع الأسف في إهمال لغة اليمن عند جمع معاجم اللغة وتبويب علومها في العصر العباسي، رغم أن نصف ألفاظ القرآن الكريم يمنية خالصة، وهو ما حرم العرب والمسلمين من فهم بعض ألفاظ القرآن ومعانيه ودلالاته، ومن ذلك على سبيل المثال فواتح بعض الصور التي قيل عنها أحرف مقطعة لا يعلم تفسيرها إلا الله، فيما هي تشير في الأصل إلى بعض التحولات المعرفية في تاريخ البشرية، -فمثلاً- قال المفسرون واللغويون عن الحرف (ن) في مطلع سورة نون بأنه حرف هجاء لا يعلم معناه إلا الله، فيما هو يشير إلى مرحلة اكتشاف الحضارة اليمنية للمنهج المعرفي الذي أطلق عليه النظم (نون) وابتكر له قلم المسند، وصار له قواعد في الكتابة العلمية والتأليف وهي التي ذكرتها الآية (والقلم وما يسطرون). ومنها (حاميم) التي تعني في النقوش اليمنية ذات حاميم أي رب الشمس أو خالق الشمس أو مالك الشمس، فيما عجز اللغويون والمفسرون العرب عن معناها بعد إقصائهم لغة اليمنية

هذه الأكدوية ابتكرها محمد بن السائب الكلبي الفارسي بطلب من الخلفاء الأمويين لصناعة نسب وتاريخ لقريش ينافس التاريخ السبئي الحميري، كتاب جمهرة النسب وجعل لقريش نسباً يختلف عن اليمانية، ثم أتى ابنه هشام بن محمد السائب فألف كتاب النسب الكبير وجعل قحطان وعدان أخوة، بينما

عدنان مجرد أكدوية لأن كل العرب تنتهي لليمن، فهم جميعاً من نسل هود عليه السلام، ومن بقايا قوم عاد الأولى.

وصف قيس بن مكشوح المرادي وذو الكلاع الحميري وعمر بن معد كرب الزبيدي بالردة بسبب رفضهم تولية أبا بكر لفيروز الديلمي ولاية اليمن، وقتلهم زادويه الفارسي وطرد الفرس من اليمن، وقد ظل قيس في صنعاء طوال خلافة أبي بكر حتى لا يحكم عليه بالقتل كمرتد، حتى وفد صنعاء يعلى بن أمية فصالح بين قيس بن مكشوح المرادي وعمر بن الخطاب فعاد قيس بن مكشوح ورفاقه إلى المدينة ثم اشتركوا في معركة القادسية وفتح بلاد فارس، انظر

٩٩- كتاب الطبقات لابن سعد.

كان الهدف الأبعد للفرس هو فك ارتباط العرب عن جذرهم الحضاري وهويتهم التاريخية ليسهل التحكم بهم بدعوى أن العقيدة الإسلامية جامعة لكل الأمم وبديلة عن الهويات والتاريخ. ولنأخذ مثلاً تفسير حادثة الفيل التي تكلم عنها القرآن الكريم، وكيف أُلصقت باليمن؟ يقول الله تعالى: "أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ".

السورة الكريمة هنا لم توضح من هم أصحاب الفيل ولا موطنهم ولا زمن ظهورهم ولا نوع الجريمة التي أقدموا عليها فاستحقوا العقاب، ولكنها ذكرت القصة بالإجمال للعبارة، وبالعودة إلى كتب التفسير وأقدمها هو جامع البيان للطبري (ت ٣١٠ هـ)، ثم بحر العلوم أبو ليث السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ)، ثم معالم التنزيل للبغوي (ت ٥١٠ هـ، تفسير الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ثم الوجيز لابن عطية (ت ٥٤١ هـ) ثم مفاتيح الغيب للرازي (ت ٦٠٦ هـ) ثم تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (ت ٦٧١ هـ) ثم تفسير ابن كثير (ت ٧٠٣ هـ) وغيرها مما تلاحق من التفسير، وعندما نفحص هذه التفسير كلها لا نجد فيها أحاديث نبوية تستند إليها في تفسير سورة الفيل ليقال أن التفسير نقلت من المأثور عن النبي (ص)، وكلها نقلت القصة عن الطبري فهو أوقفها على أبرهة الحبشي وجيشه ومقدمه من صنعاء، مقررًا أنه أراد هدم الكعبة بعد أن بنى كنيسة القليس في صنعاء بغرض صرف الناس عن الحج إلى مكة. ولنذهب الآن للتحقق عن نقل الطبري هذا الرأي، وبعد التحقق نجده يقول: "حدثنا به ابن حميد قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثنا ابن إسحاق، أن أبرهة بنى كنيسة بصنعاء إلخ"، ولنأخذ الآن ابن إسحاق ومن أين أتى بالخبر؟

أولاً: موقف المحدثين من ابن إسحاق وروايته

قال ابن حجر العسقلاني: "ابن إسحاق إمام المغازي صدوق يدلّس ورمي بالتشيع والقدرية" (١٠٠). قال الدارقطني: "اختلف الأئمة فيه، وأعرفهم به مالك، وحين سُئل عن رواية ابن إسحاق عن أبيه قال «لا يحتج بهما، وإنما يعتبر بهما» (١٠١). وقال عنه يحيى بن معين: "ابن إسحاق ثقة لكن ليس بحجة" (١٠٢). وقال عنه مالك بن أنس الأصبحي: "ابن إسحاق دجال من الدجاجلة... ونحن أخرجناه من المدينة" (١٠٣). وقال الذهلي: "هو حسن الحديث عنده غرائب" (١٠٤).

ثانياً: نقل ابن كثير عن الطبري وعن ابن إسحاق عن مقاتل بن سليمان: أن أبرهة عزم أن يصرف حج العرب عن مكة إلى كنيسة صنعاء، ونادى بذلك في مملكته، فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك،

100- مختصر كتاب الروض الأنف الباسم في السيرة النبوية الشريفة. ص. ٣٨١

101- آراء المحدثين في الحديث الحسن لذاته ولغيره - الرسالة العلمية الجزء الأول. ص. ٤٤٣

102- الوافي بالوفيات ١-٢٤ مع الفهارس ج. ص. ٦١

103- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ١-٤ ج ١. ص. ٢٠

104- الوافي بالوفيات ١-٢٤ مع الفهارس ج ٢. ص. ٦١

وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى قصدها بعضهم، وتوصل إلى أن دخلها ليلاً، فأحدث فيها وكر راجعاً، فلما رأى السدنة ذلك الحدث، رفعوا أمرهم إلى ملكهم أبرهة وقالوا له: إنما صنع هذا بعض قريش غضباً لبيتهم الذي ضاهيت هذا به، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة، وليخرينه حجراً حجراً. وفي رواية أخرى أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا، وكان يوماً فيه هواء شديد فأحرقته، وسقطت إلى الأرض!.

ومن الرواية يظهر لفظ العدنانية والقحطانية، مع العلم أن مصطلح عدنانية وقحطانية لم يظهر في ثقافة العرب إلا مع المنافسة الأموية اليمنية، فكيف يحمل المصطلح على ما قبل ظهوره بقرون؟
ثالثاً: دعونا نرجع للنقوش الأثرية ونسألها وهي أصدق في البحث العلمي من الاخباريات الشفهية التي تناقلها الرواة من عصر لعصر حتى بدأ عصر التدوين في القرن الهجري الثالث.

وحيثما نستفتي النقوش في الجزيرة العربية ومن واقع الكشوف الأثرية والدراسات في المملكة العربية السعودية، نجد نقشاً واحداً يتحدث عن غزوة أبرهة الحبشي في الجزيرة العربية وتحديدًا في منطقة عسير، وهو ما يعرف بنقش بئر مريغان، وكانت حملته متجهة نحو شمال الجزيرة، فبحسب اكتشاف البعثة الأثرية الثلاثية لريكمانز ورفاقه ١٩٥١م، نجد أن النقش يفيد أن أبرهة الحبشي غزا قبائل معد سنة ٦٦٢ حميري في شهر ذو القعدة، أي ٥٥٢م، وأن المعركة حدثت في منطقة وادي حلبان، ومنطقة حلبان تقع في نجد وتبعد عن مكة ٨٠٠ كيلو متر. كما يذكر النقش معركة أخرى في منطقة "ترين" وهو وادي تربة الوادي الذي يعدّ من أودية الجزيرة العربية الأكبر، ويبعد وادي تربة ١٣٠ كيلو متراً عن مدينة الطائف، و ٢٧٠ كيلو متراً عن مكة المكرمة (١٠٥).

١- وإذاً نستنتج - وبحسب مجلة جامعة الملك عبد العزيز والباحث عبد المنعم عبد الحليم - أن النقشين الصغير والكبير في منطقة بئر مريغان (عسير)، واللذين تحدثا عن غزوات أبرهة الحبشي يؤكدان أنه لا علاقة لغزوات أبرهة الحبشي المدونة في النقش بحملة الفيل التي ذكرها الاخباريون مطلقاً، ولا يشيران إلى مكة لا من قريب ولا بعيد.

٢- يحدد النقش تاريخ حملة أبرهة الحبشي بالعام ٦٦٢ حميري أي ٥٥٢م، وبعض الباحثين يجعلها ٥٥٤م لفارق السنوات الحميرية والميلادية وليس في ذلك مشكلة، ولكن المفارقة الكبيرة بين ما ذكره الاخباريون وما دونته النقوش، حيث ذكر الاخباريون أن غزو ابرهة لمكة كان في عام مولد النبي (ص) الذي أطلق عليه عام الفيل وهو العام ٥٧٠م، بينما كانت غزوة ابرهة بحسب النقش في ٥٥٢م.

انظر، عبد المنعم عبد الحليم سيد، هل يشير نقش ابرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز آل سعود، الآداب
١٥٥-١٥٦، ج٣، ص ٧١-٧٦

٣- القبائل العربية الوارد اسمها في نقش ابرهة هي معد وكندة وبنو عامر وعلي ومراد وسعد العشيرة، ولا يوجد أي تشابه أو تقارب بينها وبين قبائل مكة أو ما حول مكة، أو حتى تلك التي تقطن الطريق إلى مكة من قبائل قريش ونزار وثقيف وغيرها (١٠٦).

٤- يؤكد التاريخ الاخباري اليمني أن اليمنيين بقيادة معد كرب ذي يزن (سيف) ثاروا ضد الأحباش بعد موت ابرهة، وأنهم حشدوا مائة ألف مقاتل لإخراج الأحباش من اليمن، فلو كان ابرهة وجيشه قد هلك في مكة لما احتاج اليمنيون إلى ثورة ضد الأحباش.

٥- لم تورد النقوش والمصادر اليمنية القديمة ولا الحبشية أي ذكر لحادثة الفيل، ومن المستحيل أن هذه الفاجعة الكبيرة حدثت دون أن تلفت نظر أحد من الكتبة ليدونها في نقش على صخرة أو في رقاع وجلد، لا من اليمنيين ولا من العرب ولا من الحبشة حتى يأتي خبرها من الاخباريين في العصر العباسي، ولعمري أنها اسقاط على تاريخ اليمن كما فعل المفسرون بآية سليمان والملكة بلقيس في سورة النمل ((قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ))، فقرروا أن الذي عنده علم من الكتاب ساحر أو لديه علم باسم الله الأعظم وأنه نقل عرش سبأ من مأرب إلى فلسطين بطرفة عين! مع أن التوراة تؤكد أن سليمان أراد ان يبني قصرًا كقصر ملكة الجنوب فطلب البنائين من الأردن ولبنان وأمرهم ببناء قصر كقصر ملكة سبأ، واستمروا في البناء عامين كاملين، فلما جاءت ورأته سأها سليمان: "أَهَكَذَا عَرْشُكَ" قَالَتْ كَأَنَّهُ، وإذا فالمسألة واضحة أن سليمان طلب وصفاً لعرش سبأ، وحصل عليه من أحد المؤرخين أو النحاتين كان على علم بالعرش ومواصفاته، فأمر أن يبتنى له عرش مثيل له، لكن المفسرين والخباريين صرفوا مدلول نص الآية إلى الشعوذات والأساطير، وادعوا أن الذي نقل عرش بلقيس عفريت من الجن اسمه آصف، وغير ذلك من الخرافات التي لا تستقيم مع عقل ولا منطق ولا تاريخ (١٠٧).

٦- تظهر بعض نقوش بابل القديمة جداريتين أو ثلاث مرسوم فيها الفيلة وعلى ظهرها الجند وعلى رؤوسها طير في مناقرها ومخالبها أحجار ملتهبة ترمي بها الجند والفيلة وبعض الجند صرعي، وهذه الرسوم

106- نفسه، ٧٨.

١١٠- وردة عدة نصوص في التوراة تؤكد بناء سليمان للعرش منها: " أَكْمَلَ بِنَاءَ بَيْتِهِ وَبَنَى الرَّبِّ وَسُورَ أُورُشَلِيمَ حَوَالِهَا" آية ١، سفر الملك الثالث. ومنها: طلب سليمان من ملك صور جيزام أن يساعده بعماله في بناء العرش كما في سفر الملوك الخامس: " وَهَأَنَذَا قَائِلٌ عَلَى بِنَاءِ بَيْتٍ لِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِي كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ دَاوُدَ أَبِي... وَالآنَ فَأَمُرُ عَبِيدَكَ أَنْ يَطْعَمُوا لِي أَرْزًا مِنْ لُبْنَانَ، وَيَكُونُ عَبِيدِي مَعَ عَبِيدِكَ، وَأُجْرَةُ عَبِيدِكَ أَغْطِيكَ إِيَّاهَا حَسَبَ كُلِّ مَا تَقُولُ أَنْكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَنَا أَحَدٌ يَعْرِفُ قَطْعَ الْخَشَبِ مِثْلَ الصِّينْدُونِيِّينَ... فَكَانَ جِيزَامُ يُغْطِي سُلَيْمَانَ خَشَبَ أَرْزٍ وَخَشَبَ سَرُورٍ حَسَبَ كُلِّ مَسْرُوعِهِ. وفي السفر الخامس نفسه يأمر سليمان بقطع أحجار مربعة وهندسية لبناء العرش، تقول الآية: " وَأَمَرَ الْمَلِكُ أَنْ يَقْلَعُوا جِجَارَةً كَبِيرَةً، جِجَارَةً كَرِيمَةً لِتَأْسِيسِ الْبَيْتِ، جِجَارَةً مُرْبَعَةً 17 فَتَحْتَهَا بِنَاؤُ سُلَيْمَانَ، وَبِنَاؤُ جِيزَامَ وَالْجِئِلْيُونَ، وَهَيَاؤَ الْأَخْشَابِ وَالْجِجَارَةَ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ 18 ويصف سفر الملوك كيف بنى سليمان قصره الذي هو عرش الملك، وكيف جعل أرضيته من خشب الأرز المطلي بالذهب، وهو يتطابق تماماً مع القرآن الكريم، ولا يتسع المقام هنا لذكر ذلك.

البابلية تشير إلى وقوع الحادثة تاريخياً كما وصفها القرآن ولكنها ليست في اليمن ولا الجزيرة العربية، وربما كانت الحادثة واقعة على الفرس ذاتهم حينما احتلوا بابل وأخربوا معابدها في فترة ما بعد كورش الأكبر، ونالهم بذلك العقاب الإلهي. ولكن المشكلة هي أن المؤرخين الفرس كانوا يصمون كل منقصة باليمن حسداً وغيضاً بسبب الصراعات والحروب التاريخية القديمة بينهم وبين ملوك التبابعة السبئيين، ويأتي الاخباريون العرب فينقلون عنهم كل حديث ورواية بحجة أنهم قد صاروا مسلمين اخوة للعرب في العقيدة. من أمثلة الاستلاب الثقافي للأمة اليمنية ما حدث من تحريف للثقافة اليمنية في التاريخ الإسلامي على يد الهادوية والاسماعيلية والصوفية التي غزت منذ نهاية القرن الثالث ومطلع الرابع الهجري، حيث عمدت إلى محاربة تراث اليمن الحضاري وتدمير النقوش والآثار والمعابد والسدود، ونشر أكلودية الآل والبطنين وجعلها جماع العقيدة والدين، ونشر الخرافات والشعوذات، واحتكار التعليم على العناصر السلالية الوافدة، وتجهيل الأمة اليمنية، واستبدال الثقافة المذهبية الوافدة بدلاً عن الثقافة الحضارية للأمة اليمنية، واستبدال المدائح والأناشيد السلالية بدلاً عن الفن والغناء اليمني، والسطو على الأزياء التراثية اليمنية كالتوزة والجبّة والعمامة واحتكارها للسلالة للتمييز بها، وادعاء قداسة العناصر السلالية ومشاركتها لله في ألوهيته وعبادته، وأنه لا يقبل لليمنيين عبادة ولا توحيداً ما لم يمر عبر عناصر السلالة العلوية، ويؤكد تعظيمها وقداستها، وأن بيد هذه السلالة النفع والضرر والمطر والرزق والخير والشر، وإقامة القباب على قبور العناصر السلالية ليتبرك بها اليمنيون.

فضلاً عن المكتبة الطائفية والمذهبية السلالية المليئة بالجهالات والخرافات والتي انتجها هؤلاء ليسيطروا بها على العقل اليمني، ويدمروا بها الأجيال المتلاحقة، فمن بين كل ألف عنوان في المكتبة اليمنية الإسلامية لا يكاد يجد الباحث عنواناً علمياً في التاريخ أو الاجتماع أو الاقتصاد أو العلوم الطبيعية من انتاج العقل اليمني في التاريخ الإسلامي إلا ما ندر، فأغلب عناوين المكتبة اليمنية انتجتها الهادوية والتصوف لتكريس الخرافة واستلاب الذات اليمنية وإقامة الثقافة الاستلابية الوافدة مقام التراث الحضاري والعقل المعرفي للأمة اليمنية.

أما عن تشويه الرموز الثقافية اليمنية فهي دون الحصر، ويكفي أن نذكر هنا بما تناقلته كتب السلاليين واخبارياتهم عن علي بن الفضل الخنفرى من أنه ادعى النبوة وأحل البنات والأمهات، وأنه لما احتل صنعاء ودخل الجامع الكبير افتض بكاره ٤٠٠ فتاة! ومثله مصطلح سعيد اليهودي الذي أطلقه السلاليون على الفقيه سعيد الذي حارب الإمامة القاسمية، وهي أكاذيب وترويجات كان هدفها تشويه صورة أي قائد يمني يطمح للاستقلال وتحرير بلاده من الوجود العلوي والفراسي. بل إنهم شوهوا حتى المناطق التي قاومتهم أو الأسماء التي كانت تشد اليمنيين إلى حضارتهم، فأطلقوا على ظهر حمير، ظهر حمير، وعلى عنس مذحج عنس الدابة وغير ذلك مما لا يسع الحديث عنها هنا ويمكننا أن نفرّد لمظاهر الاستلاب التي لحقت بالأمة اليمنية دراسة خاصة.

الفصل الرابع

القومية اليمنية الاستراتيجية دفاعية وخطة بعث

توطئة

القومية ظاهرة طبيعية رافقت مسيرة المجتمعات البشرية منذ تشكل الاجتماع البشري الأول، إلا أن الإحساس الحديث بضرورة الاستقلال السياسي الوطني، ومبدأ تقرير المصير، رافق عصر النهضة الأوروبية، وتشكل كحركات وطنية مستقلة رسمياً في أواخر القرن الثامن عشر كردة فعل دفاعية بوجه الأيديولوجيات المتعدية التي كانت تجسدها الليبرالية والاشتراكية وما رافقهما من نزعة استعمارية غربية، حيث يمكن ملاحظة ظهور القومية الفرنسية التي أثرت في شكلها النابليوني على بعض دول أوروبا، وظهور القومية الألمانية كرد فعل ضد السيطرة النابليونية، وظهور القومية الطليانية كردة فعل على محاولة نابليون ضم إيطاليا لحكمه، وبالمقابل ظهرت النزعة الفارسية كأداة لصراع النفوذ مع العثمانية.

يرى بعض المؤرخين أن الثورة الأمريكية كانت شكلاً مبكراً من أشكال القومية الحديثة، أما في السياق العربي فقد ظهرت القومية العربية كردة فعل على سياسة التتريك من ناحية، حيث مثل ظهور جمعية الاتحاد والترقي وعلان الدستور العثماني في عام ١٩٠٨م خاتمة الدور السياسي للوزع الديني للعثمانية، وبداية لعهد جديد من الصراعات الأقليمية (١٠٨).

كانت فكرة القومية العربية في البدء تشكل ظاهرة دفاعية ضد الاستعمار الغربي والنفوذ العثماني على السواء، مستلهمة النموذج القومي الدفاعي في بعض دول أوروبا، لكنها ما فتئت أن انقلبت على النموذج القومي الغربي وتحالفت مع اليسار الاشتراكي، وتقمصت أيديولوجيته، بل وعكست مضامين الفكر اليساري في رؤيتها الفكرية والسياسية، كردة فعل على الاستعمار الأوروبي الذي حاول استعلاء الهوية العربية في كثير من البلدان من ناحية، ومن ناحية أخرى كون اليسار الاشتراكي شكل خيار لمواجهة ضد الاستعمار والامبريالية الأوروبية، ومن هنا عملت القومية العربية كأداة لمواجهة الاستعمار الأوروبي ذاته، وهكذا إذن فإن الفكرة القومية كوجهة سياسية كانت تعد أيديولوجيا دفاعية لمواجهة التدخل الخارجي و الاستعمار.

يقول البعض اليوم أن القومية ظاهرة حديثة، وأنها تحمل في طياتها نزعة عرقية، والحقيقة أن القومية ليست حديثة بل هي فكرة متأصلة سائرت ظهور الدولة منذ بدء التاريخ، فكل البشر دون استثناء لا يمكنهم إلا أن يعرفوا أنفسهم من خلال الانتماء لقومية معينة، وحتى حينما يتهربون من ذكر مصطلح

108- امين سعيد، الثورة العربية الكبرى في ربيع قرن، ج ١، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ، ص ١٠

القومية ويستبدلونه بمصطلح الدولة أو الوطن أو الجغرافيا التي تشير إلى موطنهم، فإنهم لا مناص يشيرون إلى وجودهم التاريخي ضمن جماعة بشرية عرفت بجغرافيا ووطن وسلطة، ومن ثم فهم بدرجة رئيسة قوميون، ومهما حمل المرء نقداً لفكرة القومية فإنه عليه في النهاية الانتماء إلى قومية ما.

لقد عبرت القومية عن نفسها في التاريخ بوصفها متلازمة مع الدولة أو صورتها في المكان والزمان والثقافة، وإذا كانت الدولة قد وجدت لتنظيم حياة المجتمع ونشاطه وتحقيق العدالة والمساواة، فإن هذه الأخيرة مستعارة حرفياً من فكرة القومية، لأن معنى القومية تساوي كل عناصر الأمة وأفرادها في الحقوق والواجبات والمكانة والوجود الاجتماعي، فأبناء البلد الواحد سواء أمام القانون الواحد، لأنهم جميعاً أصحاب تاريخ مشترك بغض النظر عن التفاوتات الاجتماعية التي هي نتاج النشاط والانتاج، في النهاية الجميع داخل حدود المخيال القومي سواسية، وهم أمام التحدي الخارجي يد واحدة.

يناقش أندرسون القومية والهوية القومية في كتابه (الجماعات المتخيلة تأملات في نشأة القومية) فيجد أنها نشأت في القرن الثامن عشر في أوروبا نتاج تقاطع معقد بين عدة قوى تاريخية بفعل الصراع بين القوى المختلفة، فهي نتاج مباشر للتفاعل بين الرأسمالية الصناعية، وأفكار التنوير والإصلاح الديني، والتغيرات التي أنتجها الاثنان في طبيعة المجتمعات الأوروبية، كما هي نتاج للتقاطعات بين الفكر الليبرالي والاشتراكي كأفكار للسياسة الأيديولوجية المتعدية (١٠٩).

قد يُشكل على البعض التفريق بين الانتماء القومي والحراك القومي، وهو ملاحظ بقوة عند أولئك الذين يتوجهون بالنقد للقومية اليمينية أقيال، إذ يخلطون بقصد أو دون قصد بين القومية كحقيقة وجودية هي جزء من كينونة الإنسان اليميني لا بد منها في التعبير عن شخصيته وانتمائه، وبين الحركة الاحيائية للهوية والتاريخ والانتماء القومي، سواء كانت حراكاً ثقافياً تاريخياً كحراك الهمداني ونشوان الحميري، أو حراكاً ثقافياً تجسده اللحظة الراهنة بوجه السلالة الكهنوتية وميليشياتها الحوثية، هذا الخلط في تصور القيمة والحركة هو السبب الرئيس في تبني البعض من اليمينيين لمواجهة الحراك القومي أقيال، على اعتبار أنهم يرون في هذا الحراك المبارك - من وجهة نظرهم - بعض الأخطاء.

والحقيقة أن ثمة فارق إلى حد كبير بين القومية كوجود وانتماء، والقومية كفكرة أيديولوجية أو حراك سياسي وثقافي، فالقومية كوجود تاريخي هي حقيقة الدولة والمجتمع وصيرورتها في الزمن منذ أن دونته لحظة الميلاد باسم اليمن، فمن تلك اللحظة نشأ تاريخ اليمن، ونشأة التاريخ ليست سوى تسجيل لظاهرة الدولة والحضارة والمجتمع المنتظم في إطار فكرة حضارية، بغض النظر عما يحمله تاريخه من لحظات اشراق وعلو ولحظات انكسار وتراجع.

أما الفكرة القومية كأيديولوجيا فهي النظرية السياسية التي تستند إلى الروح القومية وتتخذ من التاريخ نموذجها الأمتل، بهدف التخلص من الانكسار أو التخلف أو الاستلاب واستعادة أمجاد الأسلاف

109- أندرسون، الجماعات المتخيلة تأملات في نشأة القومية، أصول الوعي القومي ٧٣-٨٠.

بطريقة تتلاءم مع ظرف الزمان والثقافة، وهنا يمكننا اعتبار الأيديولوجيا القومية الشكل الأكثر حدة في الرؤية القومية، لأنه يقوم على أساس فكرة المواجهة والتحدي، فهو يستدعي الذات التاريخية لتقف أمام الخصم الوافد، سواء كانت فكرة أم استعماراً أم حالة استلاب تاريخي أو مذهبي - كما هو الحال في اليمن - وهي إذاً تستدعي الذات لا تتكىء على الأعراق وإنما على الأوطان والتاريخ الحضاري، وإذاً فإن الأيديولوجيا القومية حتى في أشد صفحاتها قتامة - من وجهة نظر البعض - ليست مخيلاً طائفيًا، ولا جماعة أعراقية، بل هي الروح الاندماجية العامة التي تذوب كل الأعراقيات والنزعات ما دون وطنية، وهي المخيال التاريخي الأمثل للنهوض المتجدد من وهنة الانكسار والانحطاط، وإذاً فهي روح جمعية لكل أبناء الوطن وقاطنيه، بغض النظر عن أصولهم، شريطة أن يتحقق فيهم روح الانتماء القومي للأمة اليمنية، وهي مسألة جد طبيعية ذلك أن الانتماء نفسه يُرى وبشكل واسع كظاهرة طبيعية في الدولة الحديثة، تشكلت من خلاله الدولة وأخذت شرعيتها عبره في أحيان كثيرة، كما يشكل الانتماء القومي نوعاً من بناء المعنى الشخصي والعام للإنسان، ويعرف الإنسان موقعه من العالم من خلال هذا الانتماء في أحيان كثيرة^(١١٠).

ليست القومية اليمنية صلة دم أو رابط قرابة طبيعية حتى يمكننا الانتماء إليها كما ننتمي للأسرة والعشيرة والقبيلة - رغم أن القبيلة في اليمن ليست رابطاً عرقياً في أغلبها بل حيز جغرافي - والقومية اليمنية هوية شعب وأمة وليست نزعة أعراقية مضادة للسلالية العلوية وميليشياتها الحوثية، وإن كانت الحوثية والسلالية هي السبب الأكبر في إعادة اكتشاف اليمنيين لذاتهم المستقلة، لكننا ووفقاً لمنظور علم الاجتماع نستطيع أن نقرر وبكل قوة أن القومية اليمنية هي الروح الجمعية المستوعبة لكل عناصر الأمة اليمنية ومكوناتها البشرية والجغرافية والتاريخية والثقافية، وأنها حاوية لموطنها ومواطنيها، متجهة نحو تخلص الأمة اليمنية من كل عوامل الاستلاب والتخلف والاستعباد والوصاية والعنصرية والسلالية، وكل ما يشكل عوائق وكوابح أمام بناء الدولة الوطنية القومية، ووفقاً للمؤرخ الإنجليزي "آندرسون" في كتابه الجماعات المتخيلة، فإن القومية: "تخيل اجتماعي بأدوات واقعية، يمكن للمرء أن يتخيل أشياء من العدم، لكن الخيال الاجتماعي لا يتخيل كذلك، التخيل الكلي لجماعات متنافرة لا تربطها أي قرابة طبيعية لا بد أن يكون بأدوات واقعية، وهذا ما يعطي القومية بعداً واقعياً جدياً، لأنها تُتخيل من خلال أدوات واقعية، ولأنها تتجلى واقعياً في الخطابات اليومية للسياسة والاجتماع البشري"^(١١١).

وإذا كنا نتحدث عن الحرية والاستقلال والمساواة كقيم عليا في الفكرة القومية فإنها ليست دعوة مثالية عالمية كما الحرية في الليبرالية، أو العدالة الاجتماعية في الاشتراكية، بل هي مساواة موطنية مرتبطة

انظر، محمد رمضان، القومية، أو: كيف تتكون الجماعات المتخيلة؟ -

<https://manshoor.com/politics-and-economics/nationalism-meaning-and-evolving/>¹¹⁰

¹¹¹- أندرسون، بنديكت، الجماعات المتخيلة تأملات في أصل القومية وانتشارها، ص ٦٤.

بالوطن والدولة ولا تعني ابدأً أن الفكرة القومية تحمل في طياتها قيمًا عالمية تدعو لها، فما يعني الفكرة القومية هو استقلال الوطن وتحرره ونهضته وتحقيق العدل والمساواة والمواطنة بين كل أفرادها، أما في المسألة الخارجية فالقومية كروح تاريخية تؤمن بحق كل المجتمعات والأمم في الاعتصام بتاريخها القومي والانتماء إلى أوطانها، والاستقلال بقرارها القومي دون أن يكون لأحد عليها تدخل وصاية.

القومية اليمينية استراتيجية دفاعية

لاحظ أندرسون في كتابه عن القوميات في أوروبا أن الغزو الفيتنامي لكمبوديا واحتلالها ١٩٧٨ م كان أول حرب استعمارية يشنها نظام ماركسي ضد نظام ماركسي آخر، وأكثر ما شد انتباهه افتراق موقف الصين والاتحاد السوفيتي في الحرب الفيتنامية الكمبودية، لقد قادته هذه الملاحظة إلى تأكيد نتيجة واقعية مفادها أن كل ثورة ناجحة منذ الحرب العالمية الثانية عبرت عن نفسها في صورة قومية، ووطدت نفسها كذلك في فضاء إقليمي واجتماعي موروث من الماضي (١١٢).

هذه الملاحظة ذات جدوى في المسألة القومية والهويات التاريخية للمجتمعات والأمم والشعوب، فعلى رغم كون الفكرة الشيوعية والنظرية الماركسية جمعت عدداً من الدول الشرقية في أيديولوجيا ماركسية واحدة، إلا أن الصراع القومي نشب بين عدد من تلك الدول نتيجة اختلاف المعطى القومي لكل بلد، حيث شكلت الروح القومية رؤية دفاعية استقلالية ضد حالات التوسع السياسي ولو كانت تشترك معها في الرؤية الأيديولوجية المعاصرة. نلاحظ هذه الحقيقة مجسدة في التباين السوفيتي والصيني ١٩٥٦ - ١٩٦٦ م، فالاختلافات العقائدية التي نشأت عن تفسيراتهم المختلفة لماركس وتطبيقاتهم العملية الماركسية اللينينية لم تكن نتيجة المنافسة في الرغبة في تصدر الزعامة الاشتراكية، فالصين حتماً استعارت فكرة الماركسية من روسيا، غير أن المقومات التاريخية والبيئة الثقافية اختلفت من روسيا إلى الصين، وتبعاً لذلك الاختلاف تباينت التفسيرات والرؤى الماركسية حد نشوب الصراعات على الحدود الجغرافية، وتحول الخلاف الصيني الروسي من تفسيرات أيديولوجية للماركسية إلى أبعاد أخرى بمضامين قومية مناهضة للتدخل السوفيتي حد نشوب الخصومة الشخصية والذاتية بين زعامات البلدين، ورغم تأكيدات ماو المستمرة في رسائله على المضمون الماركسي للشيوعية الصينية، إلا أن الوجهة الصينية تفاعلت مع البيئة الثقافية فأنتجت نموذجاً صينياً ذا محتوى قومي متصالح مع الشخصية الحضارية للصين، وهو ما أطلق عليه لاحقاً بالشيوعية ذات الخصائص الصينية (١١٣).

لقد أنتج الغرب في سياق تاريخه المعاصر النموذج في الحكم المسمى بالدولة القومية، والذي جاء بعد ظروف معينة خاصة بصراعات دارت داخل أوروبا بين مكوناتها الدينية والسياسية ودوافعها الاقتصادية،

112- أندرسون، الجماعات المتخيلة، سابق، ٤٩-٥٠.

113- انظر، جيرمي فريدمان، الحرب الصينية السوفييتية الباردة صراع على قيادة الثورة، لناشر: جامعة نورث كارولينا، نيويورك، ٢٠١٦.

ورغم تصدير النموذج القومي الغربي خارج إطاره الزماني والمكاني والحضاري بوصفه منتجاً نهائياً قابلاً للتفعيل، ونمطاً يقوم على وجود إقليم تراي محدد بالحدود التي تصبح مقدسة لدى أبنائها، وتكون للدولة السيادة على الإقليم ليقع تعريف الدولة الأمة، إلا أننا رأينا اختلاف النموذج القومي الغربي من دولة إلى أخرى، فألمانيا التي كانت عرضة للنزاعات الأقومية والأعرافية اتخذت وجهتها القومية شكلاً دائرياً باتجاه العودة للأصل الجرمني بهدف استعادة الوحدة بين الشعوب الألمانية مع التأكيد على تحرر الأمة الألمانية من كل سيطرة أجنبية عليها، فهي إذاً قومية ذات بعد تاريخي وطني^(١١٤)، بينما اتخذت الفكرة القومية في فرنسا التي اكتمل تكوينها السياسي منذ زمن بعداً مغايراً، فالنظرية القومية الفرنسية قالت بحق كل أمة في الحياة حقاً مطلقاً مستقلاً لا يمكن حرمانها منه، ولو تنازلت الأمة نفسها عن هذا الحق بمحض إرادتها؛ ولذلك انطوت النظرية الفرنسية على فكرة «التعاقد» **Contract**، بوصف التعاقد أساساً لكيان الأمة، فيحدث التعاقد في هذه الحالة بين الشعب وصاحب السيادة الشرعية عليه كيلا يتصرف صاحب الشرعية بحق الأمة وسيادتها^(١١٥).

أما في إيطاليا التي كانت تشكل الإرث الامبراطوري لأوروبا وتتنازع إرثها وجغرافيتها كل الدول والامبراطوريات الصاعدة في أوروبا، فقد اتخذت الفكرة القومية بعداً مغايراً ذا طابع اثني، حيث نادى بأن الطليان أمة ذات هوية واحدة متجانسة مستقلة، تنتمي بالنسب الثقافي إلى اللاتينيين، لقد كانت الفكرة تسعى إلى تعزيز الوحدة الثقافية لإيطاليا كدولة مستقلة وموحدة، وكانت القومية بمثابة سبب لتوحيد إيطاليا في ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر^(١١٦).

وفي البلاد العربية نشأت الفكرة القومية بدافع التحدي الحضاري والاستعمار الغربي، متخذة من التاريخ واللغة العربية وقضية فلسطين دعائم محورية للنضال القومي بهدف إنجاز وحدة عربية سياسية اندماجية متخيلة تذيب الخصوصيات التاريخية والثقافية بين المجتمعات، لكنها فشلت في أولى خطواتها السياسية التي انتجت الجامعة العربية، ونتيجة لذلك انقسمت إلى نماذج متباينة بين الشام والعراق ومصر والخليج والمغرب، وتحول ذلك الانقسام إلى مشاريع سياسية متباينة ومنفصلة عن بعضها، وتبعاً لذلك التباين تعددت مدارسها الفكرية بين أطروحات الحصري وعفلق والبيطار وعصمت سيف الدولة وآخرين، وفي غمرة الصراع القومي القومي زاحمتها أفكار أيديولوجية أخرى ذات وجهات دينية أو وطنية، ومع فشل نموذج الوحدة السورية المصرية تبخرت فكرة الوحدة العربية، واكتفت الحكومات بالشكل التنسيقي من خلال جامعة الدول العربية، أو مجالس التعاون الأخرى.

¹¹⁴- محمد فؤاد شكري، الصراع بين البرجوازية والإقطاع، ج ١، مؤسسة هندواي، ٢٠١٧، ص ٤٠.

¹¹⁵- نفسه، ص ٣٠.

¹¹⁶- Aaron Gillette. Racial theories in fascist Italy. 2nd edition. London, England, UK; New York, New York, USA: Routledge, 2003. Pp. ١.

لقد تلخصت المشكلة منذ البداية في إشكالية الرؤية المثالية التي جاوزت الواقع والتاريخ معاً، كما جاوزت خصوصيات الشعوب والمجتمعات بالانكفاء على نموذج التاريخ الإسلامي الأموي والعباسي، وهو ما ساهم بقوة في إعادة إنتاج ثنائية الخلافة والإمامة من خلال جماعات الإسلام السياسي، وما هي البلدان العربية بعد قرن من الصراعات الأيديولوجية وثنائية التشيع والتسنن تعيد اليوم طرح المسألة القومية بثوبها الوطني بعيداً عن الرؤى الأيديولوجية المتعدية.

إن البناء الرأسي للأفكار التاريخية مخالف للسنن النفسية والثقافية في بناء الأمم والدول، ذلك أن الأمم مهما كان لديها من رصيد سياسي وثقافي مشترك، هي في الأساس مكونة من عدد من الشعوب تشترك في تلك المقومات، لكنها قبل ذلك لا تستطيع الاسهام في الميدان الحضاري العام كأمة ذات رسالة عالمية قبل أن تعيد بعث ذاتها في الميدان الحضاري القومي الوطني، وهنا نجد أن للروح القومية مستويين، احدهما يجسد الذات القومية الوطنية، والآخر يجانس الروح التاريخية الرسالية، وهذه هي العلة الرئيسة في فشل الفكرة القومية العربية التي حاولت إعادة دمج الأمة العربية بتذويب خصائص الشعوب النفسية والزمنية، دون مراعاة للروح القومية للمجتمعات التاريخية وحتى الجديدة، وهو ما جعل دعوات القومية تبدو مثلاً غير محقق في الواقع العملي.

من هنا يمكننا القول إن القومية اليمنية أو غيرها من القوميات العربية هي الأساس النفسي والتاريخي الأول لإعادة إنتاج الدور الحضاري على مستوى الشعوب ثم على مستوى الأمة ضمن مشروع عروبي لا يهضم المجتمعات، ولا يعيد إنتاج الاستلاب الذاتي للشعوب كما حدث في التاريخ الإسلامي الذي انخس بين نموذج الخلافة القرشية والإمامة العلوية فأتاح للأمم الأخرى النفاذ من خلال المذهب والمعتقد لتدمير ومصادرة الرصيد التاريخي للعرب، وسلب استقلالهم الحضاري كما حدث في العثمانية والصفوية، وكما هو حادث اليوم في تصدير النموذج الإيراني من خلال جماعات التشيع العربي في كل قطر وبلد.

إن القومية اليمنية فكرة دافعية عن الأمة اليمنية والأمة العربية في آن واحد، ذلك أن تدمير تاريخ اليمن الحضاري، وإهمال الموروث الحضاري للأمة اليمنية الممتد إلى ٧٠٠٠ عام يصب في صالح القوميات والهويات المعادية للعرب ككل، وعلى رأسها القومية الفارسية التي تطمع في إعادة إنتاج نموذجها الكسروي على حساب الوجود العربي من خلال جماعات التشيع والاثنية السلالية، وقد صارت اليوم تشكل عائقاً حضارياً ونهضوياً لأغلب البلدان العربية، وبالمثل العثمانية التي صارت اليوم تغزو بفكرها كل الشباب العربي، وتقدم نفسها كمنقذ للعرب السنة من الأطماع الإيرانية، وهو نفس الوقت مقاومة ذاتية وحصانة قومية لليمن والعرب من سياسة الاستلاب الاستعماري التي تجسدها إسرائيل اليوم تحت دعوى الابراهيمية، طمعاً في أن تتيح لها حالة الصراع والانقسام الطائفي وتفكك الدول في فرض هيمنتها وتدخلاتها على كل دول المشرق العربي.

إن القومية اليمنية في سياقها الوطني ليست فكرة متعدية، بل شيفرة تاريخية ثقافية لتحرير الذات اليمنية من عوامل الاستلاب وإسار التخلف والتبعية، وثقافة العنصرية السلالية وخرافاتها المقيدة للعقل اليمني في ظلام الجهالة منذ ما يزيد على ألف عام، لمنح الإنسان اليمني الشعور بحريته، وتمكينه من بناء ذاته المستقلة، وإعادة اثبات ابداعاته التاريخية بروح عصره كما حققها ذات مرة في الزمن القديم.

الفصل الخامس

رأي في صميم الفكرة القومية

المنطلقات والمبادئ والأهداف

أ- المنطلقات التاريخية للقومية اليمنية

تنظم المنطلقات التاريخية لحراك القومية اليمنية أقبال في المحددات التالية:

- القومية اليمنية هي أول قومية حضارية على وجه الكوكب أسست لحضارة علمية شهد لها القرآن الكريم في قوله تعالى: (أهم خير أم قوم تبع) كما شهدت بها النقوش والآثار وأخبار الأمم والمؤرخين.

- القومية اليمنية أصل الوجود الحضاري للعرب أجمع، وكل العرب تنتسب للأمة اليمنية انتساب الفرع للأصل، والعرب تقول من ليس يمني فليس بعربي، وعلى الأمة اليمنية أن تكون بمستوى العمق الحضاري وأن تتخلص من سلوك التبعية واحتقار الذات.

- تستند القومية اليمنية لإرث حضاري يطاول ٧ ألف عام، وهي من أكثر القوميات أصالة وعراقة، وأعمقها امتداداً تاريخياً.

- للقومية اليمنية مقومات عديدة تستند إليها كالتاريخ الحضاري والآثار والنقوش والمعالم والمدن الحضارية واللغة المسندية والتراث المعرفي والشعور الجمعي الذي يربط الأمة اليمنية بماضيها وحاضرها في كل جيل ويمدها بالطاقة اللازمة للبعث والنهوض المتجدد.

- حراك القومية اليمنية أقبال ليس نزوة طارئة ولا ظاهرة عارضة ولا ردة فعل مؤقتة على ممارسات السلالة وميليشياتها الإرهابية الحوثية، وإن كان اقتلاع فكرها وخرافاتهما وتطهير اليمن من رجسها أهم واجبات الأقبال وأولوياتهم، ولكن حراك القومية أقبال في حقيقته بعث تاريخي دفعت به للواقع ذات الأمة المكونة في أعماق الروح اليمنية، وغذته أرواح الأسلاف العظماء ملوك التبابعة وأثارهم الدالة على عظمة أمجادهم، وجهود الرواد القوميين من أمثال الفيلسوف المؤرخ أبو الحسن الهمداني ونشوان الحميري وحتى ثوار سبتمبر وأكتوبر، فهي بعث حضاري ظل يتجدد في كل عصر وجيل حتى اكتملت صورته في هذا الحراك القومي المبارك الذي ينتظم فيه كل أقبال اليمن ورجال اليمن المنتمين إلى وطنهم

وأمتهم دون تمييز ولا أعراق ولا جنسانية، ولن يتوقف حتى تحرير اليمن من سلالة الرجس والكهنوت واستعادة أمجاد الأمة اليمنية العظيمة.

- القومية اليمنية أقيال مشروع جمعي لكل أفراد الأمة اليمنية ما دون سلالة الرجس والكهنوت أدعياء الإمامة والولاية والبطنين من زيفوا وعي أمتنا لتعيش حالة الاستكانة والتسليم بخرافاتهم ومسيدهم الاستيطانية المتلبسة ثوب الدين الصنمي الزائف، ويقتضي الواجب القومي والوطني تدمير وإنهاء خرافاتهم ودفنها من العقول والمكتبات والثقافة العامة لتصبح الأمة اليمنية حرة أبية.

ب- مبادئ القومية اليمنية

- يستند مشروع القومية اليمنية (أقيال) لمنظومة قيم ومبادئ عليا سامية تعانق روح الأمة اليمنية، وتستعيد هويتها ووجودها الحضاري، تتجسد فيما يلي^(١١٧):
- اليمن حضارة إنسانية ودولة قومية بهوية مستقلة مستقرة ثابتة عبر التاريخ، والشعب اليمني بعمقه الحضاري أمة مستقلة تستعصي على الاستلاب أو الذوبان واللاحاق بغيرها.
- اليمنيون جميعاً أقيال واکليالات مواطنون متساوون في الوجود الاجتماعي وفي الحقوق والواجبات دون أي تمييز أو طبقية، بسبب اللون أو الجنس أو المنطقة، وتجرم كل لقب يخط من الإنسان اليمني واجب قومي مقدس ترعاه الدولة.
- تراب الوطن اليمني وتراثه الحضاري إرث مقدس لا يجوز التنازل عن ذرة منه بأي ثمن وتحت أي ظرف، وواجب الأمة اليمنية كلها الدفاع عن الوطن ومقدساته ومقدراته.
- دعاة السلالية وأدعياء الولاية والإمامة والبطنين وميليشياتهم المسلحة الإيرانية عصابة احتلال واستيطان لم تكتسب بعد صفة المواطنة، وعلى الأمة اليمنية تحرير الوطن من خرافاتهم ورجسهم مهما كلف ذلك من ثمن، مع اخضاعهم لفترات طويلة من إعادة التبيئة والتوطين أو رحيلهم عن اليمن إن ظلوا يتمسكون بسلاليتهم وعنصريتهم.
- كل أشكال العنصريات كالطائفية والمذهبية والجهوية والمناطقية دخائل وافدة تهدم الذات اليمنية، تحاربها القومية اليمنية شكلاً ومضموناً.

هذه المبادئ تضمنتها اللائحة العامة لحراك القومية اليمنية أقيال، وهي اللائحة التي توافق عليها الأقيال المؤسسون للعمل القومي، وتضمنها أيضا مسودة¹¹⁷-كتاب الناموس القومي الأقيال للدكتور علي البكالي. مرجع سابق، ص ٢١-٢٣

- تجرم القومية اليمنية أقبال كل الألقاب الاستعلائية الوافدة كلقب سيد وشريف وسيدة وشريفة وحبيب وكل ما يضمن معناه تحقير الإنسان اليمني بإزاء الوافد السلالي وتعتبر هذه الألقاب جرائم حرب ضد الأمة اليمنية.
- تؤمن القومية اليمنية أقبال بالدين الإسلامي من منبعه الصافي القرآن والسنة المتوافقة مع القرآن، دون مسوغات قرشية أو سلالية استلابية، وتحترم حرية التدين وترى أن الدين مسألة بين الإنسان وربه، وتتمسك بأصول المقدسات الدينية الله والقرآن والرسول (ص).
- تحترم القومية اليمنية المبادئ العامة لحقوق الإنسان، وتدعم القوانين الإنسانية المتفق عليها في المعاهدات الدولية ذات الصلة.
- دعوى السلالة والإمامة والبطنين والحق الإلهي وولاية الفقيه، خصم تاريخي وهوياتي ووجودي لليمن أمة ودولة يجب مجابته والتخلص منها.
- تؤمن القومية اليمنية بالفصل التام بين السلطة السياسية والمذهب أو المعتقد الديني باعتبار الدولة مؤسسات إدارية معيارها الكفاءة والنزاهة والانتاجية.
- الديمقراطية مبدأ أساس من مبادئ الدولة القومية للأمة اليمنية، وفق المستند التاريخي للحضارة اليمنية.
- الاكيلة اليمنية شريك للقليل في بناء الأسرة والمجتمع والدولة، ودورها كدور القليل سواء بسواء، في كل ميادين الحياة.
- تؤمن القومية اليمنية أقبال بالسلام وتدعو للاستقرار وتناهض كل أشكال التطرف والعنف.
- القومية اليمنية مشروع تحديدي يؤمن بالانفتاح على الاقتصادات العالمية بما يحقق نهضة الشعب وتقدمه ورفاهيته.
- مشروع القومية اليمنية امتداد نضالي لثوري ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر، حتى تحرير اليمن من كل أشكال الاحتلال والوصاية وبناء الدولة اليمنية القومية المستقلة الناهضة.
- تؤمن القومية اليمنية بالثورة اليمنية المجيدة (٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر) والوحدة الوطنية والديمقراطية، ثوابت قومية ووطنية راسخة للأمة اليمنية لا تنازل عنها.

ج- أهداف القومية اليمنية أقبال

تعمل القومية اليمنية أقبال كمشروع تحرري نهضوي يسعى لتحقيق جملة من الأهداف تضمنتها وثيقة القومية اليمنية أقبال المنشورة على صفحتها في الانترنت وتتلخص في^(١١٨):

بعث الهوية الحضارية والروح القومية اليمنية باعتبارها القيمة الأسمى للانتماء، والرابط الأنقى لشبكة العلاقات الوطنية، واحياء اللغة اليمنية، و(التقويم السبئي) كلغة تاريخية حضارية تتجاوز وتعاقد مع اللغة العربية المعاصرة التي هي صورة متطورة من لغة المسند اليمني. كما تهدف القومية لتحرير الأمة اليمنية من الاحتلال السلالي والفراسي ودعوات الإمامة والبطنين والحق الإلهي، وبناء اليمن المستقل بعيداً عن كل أشكال التبعية والوصاية والاستلاب الحضاري سياسية كانت أو ثقافية أو اجتماعية، وتسعى لبناء الدولة القومية اليمنية الديمقراطية المستقلة الناهضة، الضامنة للحقوق والحريات والنمو والتطور المدني والاقتصادي، وفق أسس علمية حديثة، وتسعى - كذلك - لتجريم دعوى آل البيت والسلالية فكرياً وممارسة، وتجريم دعوى البطنين والإمامة والحق الإلهي، وكل أشكال التمييز الطبقي والاجتماعي، وكل الدعوات الجهوية والمناطقية. وتعمل بكل جد لتعزير بناء مؤسستي الجيش والأمن بناءً قوياً بعقيدة قومية ووطنية مستقلة، بعيداً عن الولاءات الضيقة والارتقانات الخارجية، والارتقاء بمستوى الأمة اليمنية علمياً وثقافياً واجتماعياً، والقضاء على الأمية والجهل بكل أشكاله، وتطوير البحث العلمي، وربطه بالمجتمع والتنمية، والعمل المؤسسي، لخدمة نهضة الأمة اليمنية في كل المجالات. وبناء اقتصاد قومي وطني بخصوصية يمنية، تحقق الانفتاح والإنتاجية، والتنمية والنهضة الشاملة، والرفاه الاقتصادي، والشراكة المجتمعية. وتهدف فيما تهدف للإسهام الفاعل في القضاء على كل أشكال الفساد والرشوة والمحسوبية وهدر الموارد العامة، واستعادة الأموال المنهوبة، واعتبار المساس بالموارد العامة والمال العام بأي شكل خيانة وطنية وجريمة كبرى يعاقب عليها القانون.

هذه الأهداف مقتبسة من وثيقة رؤية القومية اليمنية أقبال المنشورة على صفحة الفيش رابط:

<https://www.facebook.com/AQYAA-118>

الثورة القومية

أ- الثورة القومية إنقاذ وبعث واستقلال وطني

لم يتعرض شعب ولا أمة في تاريخ البشرية لما تعرض له الشعب اليمني من الخديعة والغدر والخيانة والاستغلال باسم الدين بغية الاستلاب الحضاري وسرقة خيراته وثرواته، فمنذ انهيار حضارة اليمن الأولى في لحظة ما قبل الإسلام وحتى اللحظة لا يزال اليمن محط صراعات الأمم والدول، ومطمعاً لسياساتها، نظراً للموقع الجيوسياسي المتربع على طرق التجارة الدولية في كل العصور، ونظراً للعمق التاريخي والحضاري لليمن كأول امبراطورية مركزية في تاريخ البشرية، وموطن المقدس الأول.

ورغم التراجع والانكسار الحضاري الذي أدخل الأمة اليمنية في مرحلة البيات والكهولة منذ ما بعد الميلاد، إلا أن روح الأمة اليمنية ظلت مقاومة لكل محاولات الاستعمار والاحتلال الأجنبي، فهزمت الحملة الرومانية في ٢٤ قبل الميلاد، ثم هزمت الغزو الأكسومي وتحررت منه في عهد الملك سيف بن ذي يزن، واثرت على الوجود الفارسي في اليمن في لحظة الإسلام وأجلت العناصر الفارسية من أرض اليمن.

وهكذا ظلت الأمة اليمنية رغم تراجعها ووقوعها تحت سطوة دورة ليل الحضارة، مقاومة لكل محاولات الغزو والاحتلال الخارجي من الأمم الأخرى، حتى جاءتها الخديعة الكبرى والغدر المشين على حين غرة من قبل العناصر القرشية السلالية المتلبسة للإسلام زوراً، فبينما كانت الأمة اليمنية تفتح الأمصار وتوطد سلطان الإسلام في أصقاع الأرض كانت عناصر النخبة القرشية تقتتل على السلطة والفيء والمغنم، وتحول دولة الإسلام إلى سلطة وراثية خاصة، ورسالة الإسلام إلى مشروع سياسي سلافي يخدم أطماع العناصر السلالية السلطوية والمادية.

وفد المتوردون السلاليون إلى أرضنا الطاهرة تحت مزعوم أبناء الرسول وآل البيت، وهي فرية وأكذوبة فليس للرسول أبناء وليس له آل (ص) بل هو رحمة للعالمين، ولكنهم تلبسوا تلك الأكذوبة ليخدعوا الأمة اليمنية التي كانت تمر بحالة تراجع وتخلف حضاري وثقافي، سيما بعد هجرة النخب والكفاءات العلمية والقيادية وخروجهم في الفتوحات أفواجاً طوال ثلاثة قرون من دعوة الإسلام.

استوطن الوافد السلالي اليمن شريداً طريداً في نهاية القرن الثالث الهجري، فما لبث أن ادعى لنفسه الحق في الولاية والإمامة والحكم، واستقدم حشود الطبريين والفرس لمقاتلة اليمنيين على أرضهم وبلادهم، ولأن الأمة اليمنية كانت تعيش حالة تفكك فقد استطاع الغزو السلالي الإمامي الفارسي الرسي احتلال جزء من جغرافيا شمال اليمن بالغدر والخيانة، وعبر الخديعة والدجل نشر فكراً استلابياً

صنمياً يقدر سلالته المتوردة مدعياً أنه مذهب ديني أطلق عليه الزيدية، وفي المقابل قدمت بعض عناصر السلالة الكهنوتية إلى الجنوب وحدثت وتهامة حاملة النقيض المذهبي تحت مسمى الصوفية، وكلاهما ظل يجهل الأمة اليمنية، ويكرس قداسة السلالة المتوردة الكهنوتية، ويخدع اليمنيين بأفكارهم من الدين ووكلاء الله، وأن طاعتهم قريبة لله والقتال معهم ضد الأمة اليمنية جهاد، ودفع الأموال لهم واجب، إلى غير ذلك من الأكاذيب والدجل والشعوذة والكهانة وممارسة التجهيل والسرقة والنهب بحق اليمنيين باسم الله والرسول والدين المزيف.

ولكي تستمر سلالة الدجل في سرقة الشعب اليمني ونهب ثرواته وامتصاص خيراته واستغلال جهله وتراجعته، عمدت لخلق الصراع المذهبي والطائفي والمناطقية، وظلت تحارب أي محاولة للأمة اليمنية لبناء دولة وطنية مستقلة، فكل الدول اليمنية الوسيطة تأمرت عليها واسقطتها العناصر السلالية المتوردة من اليعفرين إلى الزياديين إلى الصليحيين إلى الرسولين إلى الطاهريين، وفي كل عصر تتحالف السلالة الكهنوتية المتوردة مع الفرس وقوى الاستعمار الخارجي ضد الأمة اليمنية والسيادة الوطنية، فكما تحالف السلالي الكاهن المطهر بن شرف الدين مع البرتغاليين والأتراك لضرب الدولة الطاهرية، تحالف بيت حميد الدين مع الاستعمار البريطاني لتمزيق اليمن وإجهاض الثورة والحرية، وجاء الحوثيون وميليشياتهم السلالية الإرهابية لخدمة المشروع الإيراني في اليمن والمنطقة، حيث تؤكد التجربة المتكررة بيقين تام أن علة التخلف والجهل والفقر التي يعاني منها الشعب اليمني هي السلالة الكهنوتية ومؤامراتها المستمرة، ولن تسمح هذه السلالة الكهنوتية للأمة اليمنية ببناء دولة وطنية مستقلة ومستقرة ما لم تقم ثورة قومية جذرية تستكمل ما بدأت ثورة الـ ٢٦ من سبتمبر العظيم، وتحلّي عن أرض اليمن الطاهرة هذا الخبث السلالي اللعين.

ب- حتمية الثورة القومية

لم تعد الثورة القومية مجرد فكرة تتداولها التنظيرات والمنتديات ولا مجرد خيار من عدة بدائل وحلول يمكن وضعها على قائمة المفاضلة، بقدر ما غدت اليوم حلاً جذرياً أوحد لمعضلة اليمن التاريخية فلقد جربت أمتنا اليمنية طوال قرون معالجات جزئية حاكت ظواهر العلة المزمنة على مواطنيها أن تستجيب للتعافي من داء التمييز والاستعلاء السلالي ونفسية التآمر والخيانة، لكن دون جدوى، فالعصبة السلالية أثبتت عبر الأجيال أنها جسم غريب غرس في جسد أمتنا كطفيلي قاتل مهمته ضخ الأمراض والأوبئة لإبقاء جسد أمتنا اليمنية معتلاً على الدوام غير قادر على التعافي واستعادة دولته المستقلة وأمجاده الحضارية.

لقد أثبتت التجربة المتكررة عبر الأجيال أن السلالة الكهنوتية أدعياء الإمامة وأكذوبة الآل والولاية والبطنين تشكل عصابة تاريخية محتلة لأرض اليمن ومناقضة لهوية اليمنيين، مهمتها تدمير

الذات اليمنية وسلب اليمنية قيم الهوية والانتماء والمواطنة وتدمير الثقافة اليمنية والتراث الحضاري للأمة، واستبدال الهوية اليمنية بهوية وثنية سلالية تسلب اليمنيين حريتهم وكرامتهم وتجعلهم مسخاً يقصدون السلالة المتوردة، وهي عبر الأجيال تقوم بنشر الجهل والخرافة والشعوذة والكهانة لإبقاء الأمة اليمنية قيد التخلف والعزلة عن العالم بعيدا عن المدنية والتطور الحضاري.

كما أثبتت التجربة والبرهان العملي أن سياسة السلالة الكهنوتية المحتلة تقوم على سلب الأمة اليمنية استقلالها السياسي والحضاري بادعاء أن السلطة والحكم منحصر في عناصر السلالة المتوردة، وأن مقام اليمنيين الأصلاء في وطنهم وبلادهم هو مقام الأتباع والأشباع المناصرين للوفاد الأجنبي الذي يريد أن يتحكم ببلادهم ومصيرهم عبر الأجيال، وأنها ترفض حاكمية الشعب وإرادته ونظامه الجمهوري الديمقراطي، كي يظل الشعب اليمني مجرد قطيع تابع للمحتل السلالي بحكم العبيد، يقدم دمه وماله خدمة لنزوات السلالة ومطامعها.

كما أثبتت التجربة عبر الأجيال بأن السلالة الكهنوتية المتوردة على اليمن هي التي منعت قيام الدولة اليمنية المستقلة طوال التاريخ الإسلامي والحديث والمعاصر، وأنها كانت ولا تزال وستظل تنتج الصراعات والحروب الطائفية والمناطقية، لتضرب الأمة اليمنية وقبائل اليمن وأحزابه ببعضها البعض، وأن كل المجازر والجرائم والحروب التي دمرت اليمن شعباً ومجتمعاً ودولة عبر الأجيال هي من صنع المؤامرات السلالية الكهنوتية، وأنها وراء كل الخيانات والمؤامرات والتدخلات الخارجية والاستعمار الأجنبي، وأن كل الأحداث التي عصفت وتعصف باليمن في كل جيل من صنع دسائسها ومؤامراتها، وأنها تعمل بشكل حثيث وتعاون دائم مع الأطماع الخارجية ضد استقلال الأمة اليمنية، وللحيلولة دون قيام دولة اليمن المستقلة المستقرة الناهضة، وما الحوثية الإرهابية التي أسقطت الدولة وغزت المدن والقرى وأشعلت اليمن حرباً وجحيماً، وأبادت جيلاً كاملاً من شباب الأمة بمحارقها، ودمرت الاقتصاد الوطني، ونهبت خيرات الوطن، واستهدفت الأطفال والنساء والمدن بالصواريخ، وزرعت اليمن طويلاً وعرضاً بالألغام، سوى التجسيد العملي لمؤامرات السلالة الكهنوتية وأحقادها وكراهيتها للأمة اليمنية.

ومن هنا فإن الثورة القومية لتحرير اليمن أرضاً وإنساناً باتت واجباً شرعياً وضرورة حتمية، لإنقاذ ماضي وحاضر ومستقبل اليمن وأجياله، وإيقاف شلال الدم اليمني المسفوح عبر الأجيال، وتحقيق الاستقلال المنشود للأمة اليمنية، وبناء دولة الجمهورية اليمنية الناهضة التي تحقق الكرامة والحرية والمواطنة والرفاه لكل اليمنيين.

ج- المنطلقات العامة للثورة القومية

تنبثق الثورة القومية للأمة اليمنية من المنطلقات التالية:

- الثورة القومية خيار وحيد لتخليص الأمة اليمنية من مأساة تاريخية وإرهاب متصل وعنفي طائفي سلافي متكرر عبر الأجيال.
- الثورة القومية فعل تاريخي وجودي شعبي يقوم به كل اليمنيين، ويهدف لتخليص الأمة اليمنية من الصراعات والحروب والمليشيات الإرهابية والأطماع الفارسية والتدخلات الخارجية.
- الثورة القومية منهج وطني يمني لتخليص الأمة اليمنية من خرافات الإمامة والولاية والبطنين، وثقافة الاستعلاء والعنصرية.
- الثورة القومية ضرورة وطنية إنسانية لتحقيق الكرامة والمساواة والمواطنة وإنهاء الطبقة وبناء الدولة وترسيخ النظام والقانون.
- الثورة القومية ثورة شعبية يمنية ذاتية حرة غير مرتبطة بأي توجهات خارجية هدفها تحقيق الاستقلال للأمة اليمنية.
- الثورة القومية إرادة شعب لا تحمل ثقافة الانتقام والثأر بقدر ما تسعى لإنقاذ الأمة اليمنية من علة مزمنة وإرهاب متصل.
- الثورة القومية للأمة اليمنية مشروع قومي وطني متصل يسير بالشعب اليمني من التحرر من أغلال السلالية الكهنوتية ومليشياتها الإرهابية الإيرانية، إلى بناء الدولة الوطنية المستقلة، إلى تحقيق النهوض واستعادة الدور الحضاري المنشود للأمة اليمنية.

ج- مراحل النضال والثورة القومية أقيال

- يلتزم الحراك القومي الثوري للأمة اليمنية بخط سير نضالي تحرري نهضوي، يسير في ست مراحل متعاقبة، تكمل كل مرحلة الأخرى كما يلي:
- من اكتشاف العلة والداء إلى الفكرة القومية كحل جذري.
 - من الفكرة القومية المجردة إلى العقيدة القومية كنظرية للتحرر والبناء والثورة.
 - من العقيدة القومية إلى الثورة القومية الجذرية كمنهج للتحرر القومي والوطني.
 - من الثورة القومية إلى الدولة القومية كأساس للنهوض الوطني والقومي الشامل.
 - من الدولة القومية إلى النهضة الشاملة بالأمة اليمنية دولة وشعباً.
 - من النهضة الشاملة إلى استعادة الدور الحضاري ومكانة الأمة اليمنية بين الأمم المتحضرة والمتقدمة.

د- شعار القومية اليمنية

تتخذ القومية اليمنية من الشعار التاريخي للحضارة اليمنية، المكون من رأس الوعل التاريخي، مع ألوان العلم الجمهوري شعاراً رمزياً للنضال والثورة القومية، ويرمز الوعل للحرية والثورة القومية، وإرادة التحدي التي تقهر الصعاب، وهو من الرموز السياسية التاريخية للأمة اليمنية في أوج مراحلها الحضارية حضارة التبابعة.

القومية والمجتمع

القومية اليمنية ليست فكرة وليدة اللحظة وصراعاتها الراهنة، وليست ردة فعل عاطفية على انتفاشة السلالة وجرائم ميليشياتها الحوثية التي دمرت الوطن والدولة، ولكنها حقيقة وجودية ولدت مع ميلاد الأمة اليمنية، ورباط تاريخي هوياتي ينتظم ماضي وحاضر ومستقبل اليمن واليمنيين، وهي تجسيد عملي وديناميكي للذات اليمنية المتأصلة عبر التاريخ، وترجمة واقعية للموروث الحضاري بكل تجلياته وفنونه وأبعاده.

والقومية اليمنية ليست تنظيمياً يعبر عن توجه سياسي أو اجتماعي، كما أنها ليست جماعة تنتظمها فكرة ثقافية خاصة، ولا حزبا يطمح في سلطة سياسية، بل هي الروح اليمنية التي تسري في دماء الأجيال، والذات الحضارية التي تغذي الوجود الاجتماعي والسياسي التاريخي للأمة اليمنية، وهي الهوية الجامعة المانعة التي تعبر عن اليمن بحضاراته وتاريخه العريق، ماضيه وحاضره ومستقبله، وتنظم اليمنيين بكل أطرافهم وفصائلهم وأحزابهم وتكويناتهم الاجتماعية والسياسية، وهي السياج الواقي للأمة اليمنية من الهويات الدخيلة ومحاولات الاستلاب، والضمانة العروة الوثقى التي تعصم اليمنيين من دعوات التفكيك والتقسيم، وهي فوق ذلك كله المنقذ لليمن شعباً ودولة وأمة، والأساس المتين لبناء الدولة اليمنية المعاصرة، والطريق الأمكن لتحقيق النهوض الحضاري المنشود أسوة بكل أمم الأرض.

إن كل أمم الأرض وشعوبها في لحظات التاريخ الفارقة، تعود لهويتها القومية لتصميم خطة بعث جديدة تمكنها من الإقلاع محتفظة بخصوصيتها التاريخية، وتكسبها القدرة على الاستفادة من معطيات العصر، فليس أمام أمة تصمم خطة بعثها سوى طريقين لا ثالث لهما: إما أن تراجع تاريخها وتستلهم عناصر قوتها الذاتية، فتقيم ذاتها الواعية إزاء الآخر، فتمتلك عناصر القوة الذاتية لاكتساب مسوغات النهوض والاستفادة من معطيات العصر، فتقيم علاقاتها مع الغير بندية تحقق المصالح المشتركة.

أو أن تتنكر لذاتها وعناصر قوتها الأولية وتقدم نفسها تابعاً ذليلاً للأمم الأخرى، فتغدو نسخة مشوهة من أمة أخرى مستعمرة لها بشكل ظاهر أو خفي، أو ميداناً لصراعات الدول وأطماعها

المختلفة، وهذه مع الأسف هي الكبوة التي وقعت فيها أمتنا اليمنية طوال قرون بفعل مؤامرات السلالية الكهنوتية وحرها على الذات اليمنية.

القومية والقبيلة اليمنية

القبيلة اليمنية مكون تاريخي أصيل من مكونات الأمة اليمنية، والأعراف القبلية جزء من القانون التاريخي الذي كان ولا يزال ينظم العلاقات بين الأفراد على مستوى القبيلة الواحدة، وعلى مستوى علاقات القبائل ببعضها، وزعماء القبائل اليمنية في التاريخ القديم هم أقيال منتخبون يؤدون مهاماً اجتماعية، ويوظفون سلطة الدولة المركزية ويقومون على تطبيق الناموس القومي العام الذي أقرته الدولة. والعلاقة بين القبيلة والدولة القومية في اليمن عبر التاريخ ليست علاقة تنافس ولا تضاد، فليست القبيلة ضد الدولة ولا منافس لها، بل هي مكون حضاري يتجسد فيه روح النظام العام ويحمي الدولة ونواميسها والمجتمع وتقاليده، وهي ليست ذات طبيعة بدوية منغلقة، بل هي اجتماع تاريخي حضاري يقوم على ثقافة تطبيق الناموس العام، وتحقيق الخدمة العامة للمجموع، والحفاظ على العلاقات السوية في المجتمع، فزعيم القبيلة وقيلها الأكبر هو الأكثر خدمة للناس، والأقدر على تلبية حاجاتهم، والأكثر تفانياً في التضحية من أجل سعادتهم.

وزعماء القبائل اليمنية من وجهة نظر القومية أقيال ليسوا شيوخاً فرضتهم الوراثة المشيخية، بل هم أقيال كرماء اختارهم الناس ليقوموا على خدمتهم وحل مشكلاتهم، وهم في ذات الوقت أدوات لفرض سيادة الدولة والناموس القومي، ويطلق عليهم لقب الأقيال كونهم قيادات للمجتمع ورجال للدولة. والقبيلة اليمنية جزء أصيل من الثورة القومية وأساس متين من أساسات التحرر القومي من دنس السلالية الكهنوتية وميليشياتها الإرهابية، وأقيال القبائل اليمنية ورموزها يمينيون أصلاء ليس بينهم دخيل ولا متورد سلالي، وإطلاق مصطلح شيخ أو قيل على سلالي متورد جريمة بحق الوطن والشعب، كون ذلك يعني منح السلاليين إمكانية إفساد وتدمير المجتمع من خلال احتلالهم لمنصب سيادي اجتماعي خاص بأقيال سبأ وحمير.

القومية اليمنية أقيال والسلالة الكهنوتية المتوردة

ترى القومية اليمنية أقيال بأن نكبة اليمن وعلتها التاريخية المزمنة التي أعاققت وجود الدولة وحبست اليمن في مقابر القرون الوسطى وعصور التخلف والجهل والعزلة والانغلاق والفقر والمرض، تتجسد بشكل كلي ونهائي في عناصر السلالة الإمامية المتوردة وثقافتها الكهنوتية، ودعوتها العنصرية السلالية،

وسياستها الاستيطانية التدميرية، وحروبها العنيفة ضد الأمة اليمنية، ونهجها اللصوصي في سرقة كل مقدرات الوطن والمواطن، ولا تزال وستظل تشعل الفتنة والصراعات والحروب بين اليمنيين جيلاً بعد جيل حتى تغادر أرض اليمن الطاهرة، فهي القيود والأغلال الثقيلة التي تكبح طموح الأمة اليمنية، وتقيدتها عن بناء دولة اليمن الجمهورية المستقلة المحققة للمواطنة وسيادة القانون والنهوض والتنمية، وتقف سداً دون استعادة الذات الوطنية والهوية التاريخية والدور الحضاري المنشود للأمة اليمنية.

وتؤمن القومية اليمنية أقيال أنه لا مخرج للأمة اليمنية والشعب اليمني غير إنجاز ثورة تحرر قومية وطنية جذرية، تخلص اليمن من هذه العلة والداء العضال، وأن الثورة القومية حتم تاريخي وواجب ديني ووطني مقدس لإنقاذ الأمة اليمنية من الكهنوت السلالي وميليشياته الإرهابية الإيرانية والتدخلات الخارجية التي يستدعيها الكهنوت السلالي، وأنه لا مقام للسلالة الكهنوتية الدعية في أرض اليمن الطاهرة على الإطلاق، وأن الثورة القومية إطراد عبر أجيال الأمة اليمنية المتلاحقة، لا تنتهي حتى تتخلص اليمن من دنس السلالية ورجسها ووثنتها وحروبها وميليشياتها، ويجلو عن أرض سبأ وحمير كل سلالي كهنوتي دخيل.

وترى القومية اليمنية أقيال بأن من تخلص من ارتباطه السلالي ونزعتة السلالية، وأعتذر للأمة اليمنية عن جرائم ألف عام، وتخلّى عن ادعاء النسب واللقب السلالي ومشجراته العنصرية العصبية، وآمن بانتمائه لليمن هوية وتاريخاً وحضارة وحياة ومصيراً، وقاوم السلالة وميليشياتها الإرهابية، وأنكر وحارب كل دعوات السلالية وخرافة القداسة، وأكذوبة آل البيت، ودعوى الولاية والإمامة والحق الإلهي والمسيدة والأشراف وغيرها من مظاهر النزعة السلالية والمشجرات، وناذ كل من يدعو لذلك قولاً وفعلاً وسلوكاً، فإنه بذلك ربيع الأمة اليمنية وأحد مواطني الدولة، له ما لليمنيين وعليه ما عليهم، عدا مناصب الدولة العليا وزير وما فوق فلا يصلها حتى يمتحن في صدق انتمائه وإخلاصه وتخليه عن السلالية فكراً وممارسة، ويذوب في الشعب ويندمج بالمجتمع كغيره من الناس، فإذا ما ظهر من أبنائه وأسرته من يدعي السلالية وآل البيت والولاية ويستعلي على الأمة اليمنية، فإنه يصبح خصماً سلالياً للأمة، ولا مقام له في اليمن الطاهرة.

مناصرة بعض أبناء القبائل للسلالة الكهنوتية

تؤكد القومية اليمنية أقيال أن من أوجب واجبات القبيلة اليمنية ورجالها الثورة على السلالة الكهنوتية وتحرير أرض اليمن الطاهرة من دنسها ورجسها وجرائمها وميليشياتها الإرهابية الإيرانية الخوئية، وأن التفاعس حيال هذا الواجب القومي والوطني المقدس يضع صاحبه موضع النكوث والنكوص عن شيم القبيلة اليمنية، والخرق الفاضح للعادات والأعراف والناموس القومي، والانحراف المشين عن درب

الأسلاف العظماء ملوك سبأ وحمير، فلا يقبل على أمته احتلالاً سلالياً كهنوتياً وثنياً مجرماً ومتورداً يصادر حريتها وكرامتها، سوى إنسان فاقد للشرف والرجولة، مستمرئ للذل والمهانة.

أما مناصرة بعض القبائل وشيوخها للسلالة الكهنوتية وميليشياتها الإرهابية الحوثية في حربها وعدوانها على الأمة اليمنية، وتدميرها للوطن ومقدراته، وقتلها للأطفال والنساء والرجال، إما بدافع التغرير والخديعة، أو بدافع المغنم، فتعد خيانةً قوميةً ووطنيةً كبرى، وعيباً أسوداً بحق كل اليمنيين، وجراًً فضيعاً بحق أجيال اليمن الحاضرة والمستقبلية، وأن من يرتكب ذلك يصبح مسخاً بشرياً وعبداً ذليلاً لخدمة السلالية الكهنوتية وميليشياتها الإرهابية ضد أمته اليمنية، وأن من حق كل يمني على هذا المسخ الذي يخون الوطن والأمة بمناصرة السلالة المتوردة وميليشياتها الإرهابية الإيرانية أن يقاضيه وينتصف منه قانونياً لنفسه وللوطن والشعب، وأنه لن يمحو هذا الجرم ويغسل هذا العار إلا أن يعلن الشخص التوبة ويعترف للشعب بجرمه، وينابذ السلالة وينظم للثورة القومية، ويقدم التضحيات والكفارات التي تصدق توبته وتغسل خيانتها للوطن والأمة، فإن فعل ذلك فقد أتم أوبته وسقط جرمه، وإن لم يفعل فإنه استوجب لنفسه العقوبة القانونية والعزل الاجتماعي معاً، ويحرم من أي منصب سياسي في الدولة ومؤسساتها، أو وجهة اجتماعية أو قبلية حتى يلاقي ربه.

الاندماج الاجتماعي وإنهاء الطبقية

يؤمن الأقبال بأن الأمة اليمنية ما عدا السلالة الكهنوتية أدعياء الإمامة والولاية والبطنين والعنصرية والتمييز، إخوة متساوون في الكرامة والحرية والمواطنة والحقوق والواجبات، وأن أي دعوة للتمييز والطبقية بدعوى اختلاف اللون أو الجنس أو الدين جريمة بحق الأمة اليمنية، وجناية بحق الوطن اليمني كله، وأن من يدعو للتمييز والطبقية مرتكب لجريمة كبرى تستوجب العقوبة القانونية والعزل الاجتماعي.

ويؤكد الأقبال بأن مهمتهم الاجتماعية هي تذويب الطبقات وإزالة الفوارق بين المواطنين ودمج فئات المجتمع ببعضها البعض حتى تنتفي الطبقية والتمييز الاجتماعي وتحقق المساواة والكرامة الإنسانية لكل أفراد الشعب اليمني.

ويرى الأقبال أن التقسيم السلالي الكهنوتي للمجتمع إنما كان ولا يزال يشكل مؤامرة خبيثة لتقسيم الأمة اليمنية طبقياً، بحيث تحتكر السلالة الكهنوتية المتوردة أعلى هرم المجتمع، وتمنح نفسها صفة المسيدة والشرف، بينما تحيل الشعب اليمني إلى طبقات تسحق بعضها وتحتقر أجزاءها الأصيلة لصالح المحتل السلالي الوافد.

ومن هذا القبيل يجرم الأقبال أي مصطلح أو لقب يحتقر الإنسان اليمني أو يحط من حريته وكرامته وعظمته، كسيد أو شريف أو مزين أو دوشان أو مهمش أو ما شابه، ويعتبر ذلك جريمة كبرى بحق الشعب والأمة والوطن.

كما يرفض الحراك القومي أقبال استمرار فرز الأمة اليمنية إلى طبقات وفئات هامشية بسبب المهنة أو اللون، ويعتبر ذلك عدواناً سلالياً إجرامياً على الأمة اليمنية العظيمة وكرامة الإنسان اليمني. ويرى الأقبال أن التزاوج والمصاهرة بين كل أفراد وفئات المجتمع واجب وطني وقومي تمليه الحقيقة الأدمية والكرامة الإنسانية وضرورات الاندماج الاجتماعي، وأن الدولة ملزمة بإصدار قانون قومي يحقق ذلك، وأن أي شخص أو أسرة أو فئة ترفض التزاوج والمصاهرة من غير فئتها الاجتماعية تعاقب بأقصى العقوبات القانونية، ومنها نزع الجنسية والإجلاء عن الوطن اليمني المقدس لمن يدعي التعالي بنسبه على الأمة اليمنية العظيمة.

القومية والسياسة

ليست القومية اليمنية أقبال حزباً سياسياً وإن كانت السياسة ميدان نضالاتها وغاية أهدافها، لكنها حراك ثوري قومي تاريخي يهدف لتحرير الأمة اليمنية من أغلال السلالة الكهنوتية وميليشياتها الإرهابية، عبر ثورة قومية شعبية جذرية تخلص حاضر ومستقبل اليمن من هذا الداء العضال، وتنطلق القومية اليمنية في رؤيتها للعمل السياسي من منظومة محددات وقيم مرجعية ثابتة تتمثل فيما يلي:

- تؤمن القومية اليمنية أقبال بالثورة اليمنية ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر، وتعتقد أن الثورة القومية أقبال امتداد طبيعي لثورتها سبتمبر وأكتوبر، واستكمال حتمي لأهدافها ومبادئها القومية.
- النظام الجمهوري والوحدة الوطنية والديمقراطية والتداول السلمي أسس وطنية قومية ثابتة وراسخة لأي عمل سياسي، وكل الأحزاب والقوى الوطنية ملزمة قانونياً وأخلاقياً بهذه المبادئ الوطنية الراسخة.
- الأحزاب السياسية الوطنية جزء من النضال والثورة القومية، يتوجب عليها تخلص أطرها القيادية والتنظيمية من العناصر السلالية الكهنوتية التي تعمل على إشعال الصراع بين القوى اليمنية.
- الصراعات السياسية بين الأحزاب والقوى الوطنية تحريش سلالتي هدفه تفريق الأمة اليمنية وإضعاف قواها الحية بضرب بعضها ببعض، ليسهل على السلالة الكهنوتية التحكم بالأحزاب والقوى الوطنية وتسخيرها كأدوات لصالح مشروعها السلالتي الذي يحتطف الدولة والوطن، ويتوجب على القوى والأحزاب السياسية الوطنية إيقاف صراعاتها السياسية وتوحيد صفها الوطني لإنجاز ثورة قومية تحرر الوطن وتستعيد الدولة.
- ترفض القومية اليمنية أقبال وجود أي حزب أو جماعة سياسية تقوم على أسس عرقية أو طائفية أو مذهبية أو مناطقية، وترى أن ذلك جريمة بحق الوطن والشعب، ومخالفة صريحة للدستور والقانون، ويجب في مثل ذلك حل الحزب أو الجماعة فوراً، وتقديم قياداته للعدالة.
- تؤمن القومية اليمنية أقبال بأن النظريات السياسية والرؤى الأيديولوجية للأحزاب السياسية يجب أن تكون نابعة من الوطن والهوية والتاريخ الحضاري والتراث الثقافي الأصيل للأمة اليمنية، وأن تعالج مشكلات التخلف والاستلاب الحضاري، وأن تعزز استقلالية الذات اليمنية، وتجسد أرادة الشعب في الاستقرار والنهوض والتنمية.

- ترى القومية اليمنية أقبال أن العلاقات بين الدول والأحزاب السياسية تبنى على المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة وتبادل الخبرات والتجارب الناجحة، وليس على استيراد الأفكار والنظريات الأيديولوجية، ولا على التبعية التي تجعل من اليمن حقل تجارب ومجمع نفايات للأمم الأخرى.
- ترفض القومية اليمنية أقبال كل الأفكار والأيديولوجيات السياسية الوافدة المتجاوزة للوطن التي تصادر الهوية والخصوصية الحضارية للمجتمع اليمني، وتعتقد أنها جزء من إشكالية التخلف، وتسويق الوهم، وتدوير الصراع، وأنها تخدم التدخلات الخارجية على حساب الوطن وقضاياها، وتدعو كل القوى والأحزاب السياسية لفك الارتباط بالنظريات والأفكار الأيديولوجية المتعدية، وإعادة يمنة وتوطين برامجها السياسية ومناهجها الفكرية والثقافية بما يجسد الذات اليمنية المستقلة.
- تؤمن القومية اليمنية أقبال بوجود الالتزام بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي أبرمتها اليمن مع الدول الصديقة والشقيقة، فيما يخص ترسيم الحدود وحماية المصالح المشتركة، وتدعو لإقامة علاقات اقتصادية وتنموية قائمة على الشراكة واحترام سيادة الدول واستقرارها وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.
- تؤمن القومية اليمنية أقبال بالديمقراطية منهجاً سياسياً قوياً لإدارة السلطة، بالاستناد لإرادة الشعب، وترفض أي فكرة أو طريقة تصادر حق الأمة اليمنية في اختيار حكامها وممثلها.
- تدرك القومية اليمنية أقبال واحدية المصير الذي يربط الأمة اليمنية بالأمة العربية، وأن الطموح الفارسي خطر وجودي يهدد كل البلدان العربية، وترى أن الثورة القومية التحررية أقبال في اليمن، تشكل حتماً تاريخياً وهدفاً استراتيجياً لإنقاذ اليمن وحماية المصير العربي المشترك.
- تعتقد القومية اليمنية أقبال أن تحرير اليمن من الاحتلال السلافي الكهنوتي وميليشياته الإرهابية الإيرانية، عمل دفاعي مشروع تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس والوطن، وكفاح مشروع تضمنه وتسندته كل الشرائع والقوانين الدولية والإنسانية.
- تدرك القومية اليمنية أقبال أهمية موقع اليمن الجيوستراتيجي بالنسبة لمصالح العالم، وترى بأن اليمن يجب أن تكون صديقة لكل دول العالم وشعوبه، ويتطلع الأقبال إلى تأييد الأمم والشعوب المحبة للحرية والسلام والاستقلال واحترام سيادة الدول.

الدولة القومية

تعريف الدولة القومية

الدولة القومية اليمنية هي الكيان القومي السياسي والقانوني المعروف بالجمهورية اليمنية ومهمتها إدارة مصالح الأمة اليمنية على ترابها الوطني، وفق نظامها الجمهوري الديمقراطي وبناء المجتمع وتنظيم علاقاته بما يضمن المساواة وسيادة القانون والنهوض بالمجتمع وتحقيق الرفاه الاقتصادي، وحماية الوطن ومكتسباته ومقدراته، ورعاية مصالح الشعب، وحماية حقوق المواطنين داخل الوطن وخارجه، وإعادة الاعتبار للذات اليمنية والهوية الحضارية للأمة اليمنية بما يضمن السيادة الكاملة والاستقلال التام والحضور الفعال بين الأمم.

هوية الدولة القومية اليمنية

- الجمهورية اليمنية دولة ذات هوية حضارية تاريخية تمتد لآلاف السنين وتتمتع بشخصية قومية اعتبارية مستقلة تستند لموروث حضاري عريق وتراكم معرفي وثقافي فاعل قائمة على الانفتاح الإيجابي والتعاطي بوعي مع كل الحضارات الإنسانية على التكامل والتكافؤ والتعاون بما يحقق المصالح المشتركة وخدمة الإنسانية في كل عصر.

- والأمة اليمنية أصل الوجود العربي والجمهورية اليمنية جزء من الأمة العربية والإسلامية، واللغة العربية لغة الدولة الرسمية وهي لغة الحضارة اليمنية المتطورة عن اللغة المسندية، وخط المسند السبئي الحميري لغة رسمية ثانية للدولة والأمة، وتلتزم الدولة بإحيائه وتعليمه للناشئة ضمن مناهج التعليم.

- الإسلام دين الأمة اليمنية الرسمي وهو الامتداد الثقافي للديانة التوحيدية الرحمانية المنسلة من ديانة هود وصالح وإبراهيم -عليهم السلام- والدولة ترعى حرية التدين دون المساس بأمن الأمة اليمنية واستقرارها وهويتها الحضارية.

النظام السياسي

- نظام الدولة اليمنية نظام جمهوري دستوري قائم على الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية وتكافؤ الفرص، والشعب اليمني مالك السلطة ومصدرها، والانتخابات الحرة النزيفة هي المنهجية الوحيدة التي تحقق إرادة الشعب، والطريق الأوحى للتداول السلمي وإدارة السلطة السياسية.

- يقوم النظام السياسي في دولة الجمهورية اليمنية على أساس الفصل التام بين السلطات والمحكمة الدستورية العليا هيئة قضائية مستقلة مهمتها الفصل في المهام والصلاحيات لمؤسسات الدولة.
- السلطة السياسية للدولة مؤسسة تنفيذية ذات مهمة وظيفية مؤقتة محكومة بإرادة الشعب ومبدأ التداول السلمي للسلطة، مهمتها تنفيذ برنامج محدد التزمته به للأمة حال انتخابها، بما يحقق التقدم وتطوير مؤسسات الدولة، ويضمن وحماية الوطن ومقدراته، وتطبيق القانون وتحقيق الرفاه الاقتصادي، وللشعب اليمني محاسبتها على التقصير أو الانحراف عن البرنامج المحدد بمهمتها المؤقتة.
- الوظيفة العامة للدولة ملك للشعب اليمني وحق مشروع لكل أبنائه، وتخضع لاحتياج الدولة ومؤسساتها من الكفاءات والكوادر الوطنية، وينظمها قانون يعتمد على معايير الكفاءة العلمية والخبرة العملية والشفافية والنزاهة والمسؤولية، ولا يحق للسلطة السياسية التعدي على الوظيفة العامة بالمحاصصة أو التقاسم أو استخدام الوظيفة العامة للعمل السياسي.
- لا يندرج ضمن وصف السلطة السياسية من مستويات الوظيفة العامة للدولة ما دون درجة الوزير ونائب الوزير، ويعتبر أي تغيير تقوم به السلطة السياسية في مستويات الوظيفة العامة تعدياً على الدولة ومؤسساتها والأمة وإرادتها، يحاسب عليه الدستور والقانون بعزل مرتكبه من المسؤولية وتقديمه للعدالة.
- المواطنون جميعاً متساوون في الحقوق والواجبات دون تمييز بسبب اللون أو العرق أو الجنس أو المنطقة، عدا السلالة الكهنوتية أدياء الإمامة والولاية والحق الإلهي فإنهم غزاة محتلون يهددون الكيان اليمني والدولة والجمهورية، ويفرضون الانتماء لليمن العظيم وهويته الحضارية، ويتعالون على المساواة مع أبنائه ويجب على الدولة سحب جنسياتهم ووضعهم تحت الاختبار القانوني لمدة عام على الأقل فيما تثبت وطنيتهم وانتماءهم لليمن وشعبه أو يرحلوا من أرض اليمن الطاهرة.
- تحترم دولة الجمهورية اليمنية موثيق ومعاهدات الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان، كما تحترم المعاهدات والاتفاقيات المبرمة مع اليمن عبر سلطتها الشرعية بما لا يضر بمصالح اليمن أمة ودولة.

شكل الدولة

- نظام الحكم القومي في الجمهورية اليمنية نظام رئاسي يقوم على الانتخابات المباشرة من الشعب، ويمكن العدول عنه إلى النظام البرلماني أو المختلط متى قررت الأمة اليمنية ذلك عبر استفتاء شعبي حر.
- ينتخب رئيس الجمهورية من الشعب اليمني عبر انتخابات تنافسية حرة ونزيهة، ويسمى الرئيس الشرعي المنتخب من الأمة اليمنية ((تبعاً)) التزاماً بشرعة الأسلاف.

- مجلس النواب هو مجلس أقبال اليمن ومشريع، وهم وكلاء الأمة اليمنية في سن القوانين وضبط المخالفات والتجاوزات، وعينها في مراقبة السلطة ومحاسبتها وتقييم أدائها وفق برنامج العمل الذي التزمت به للشعب.
- للأمة اليمنية وحدها حق تقرير شكل الدولة ونظامها واختيار الأنسب لها من الأنظمة الاتحادية عبر استفتاء شعبي، بما يخدم وحدة صفها ويحقق المساواة وتكافؤ الفرص ويدعم أهداف التقدم والنهضة القومية، ولا يجوز لسلطة أو حزب أو فئة أو جماعة أن يفرض خياره على الأمة اليمنية.
- أقاليم الدولة القومية الاتحادية هي الأطر التنفيذية المجسدة لبرنامج السلطة السياسية بما يخدم الأمة والشعب ويحقق العدالة والمساواة والرفاه والإنتاجية.
- تلتزم الدولة القومية بحماية التراث الحضاري والآثار والنقوش والنحوت والتماثيل واللقى الحضارية في كل ربوع اليمن، ويعتبر التفريط بأي شيء منها، كما تعد المتاجرة بها وتهريبها، خيانة قومية وجريمة كبرى يعاقب عليها القانون بأقصى العقوبات مع إلزام مرتكبها إعادة ما تم بيعه أو تهريبه.
- تلتزم الدولة باستعادة كل الآثار والنقوش التي جرى تهريبها أو بيعها لأي دولة أو جهة خارجية باعتبارها ملكاً خالصاً للأمة لا يجوز التفريط به.

الجيش والأمن

- القوات المسلحة والأمن ملك للأمة اليمنية وهي تجسيد لهويتها وسيادتها وكيانها السياسي مهمتها حماية الدولة القومية ونظامها الجمهوري ووحدتها الوطنية وسيادتها على أراضيها، والوطن ومقدراته، وحقوق الشعب وكرامة المواطن.
- الدولة القومية وحدها من تنشئ القوات المسلحة والأمن ويحظر أي تشكيل عسكري أو أممي خارج إطار الدولة ومؤسساتها الدستورية والقانونية، وللدولة القومية وحدها حق احتكار السلاح واستخدامه في الحروب الدفاعية عن السيادة والوطن والأمة.
- تجرم الدولة القومية ممارسة العمل الحزبي داخل مؤسسة الجيش والأمن أو منتسبيهما، ويفصل من سلك القوات المسلحة والأمن كل من يمارس العمل السياسي الحزبي.
- لا يجوز أن ينتمي للمؤسسة العسكرية والأمنية أي شخص يحمل أي نزعة طائفية أو مذهبية أو مناطقية أو سلالية.
- القوات المسلحة والأمن عمود الثورة القومية للأمة اليمنية وهي الرافعة التي ينعقد عليها تحرير اليمن من الاحتلال السلالي الإمامي وميليشياته الحوثية وتحقيق السيادة والاستقلال القومي كاملاً غير منقوص.

التربية والثقافة القومية

التربية القومية

يعني بالتربية القومية ربط أبناء الأمة اليمنية وأجيالها بجذورهم الحضارية وماضي أسلافهم التليد، وتعميق الهوية التاريخية والانتماء لأرض الآباء والأجداد في نفوس النشء، بحيث يصبح الوطن وترابه وحضارته وموروثه الثقافي جزءاً من التكوين النفسي والثقافي المقدس لدى الأجيال المتعاقبة، ومحدداً ضرورياً لازماً للوعي القومي والمعرفي، ومنطلقاً رئيساً للسلوك الاجتماعي، وهدفاً لازماً للفرد والمجتمع على السواء، ليكتمل بذلك وعي الإنسان اليمني بذاته وحضارته، وتتخلق في ضوء عمليات التربية القومية المقصودة إرادة أبناء الأمة اليمنية في تحرير أرضهم ووطنهم القومي من السلالة الكهنوتية وخرافاتهما وميليشياتهما، واستعادة الدور الحضاري المنشود للأمة اليمنية.

وتتجلى مظاهر التربية القومية في الاعتزاز بالذات اليمنية الحضارية، وتعظيم كل ما يتصل بها من تراث ومعارف وثقافة ولغة، ونفي ومحاربة كل ما ينتقص منها أو يهدف لاستلابها، وتوظيف كل ما يكتسبه الإنسان اليمني من معارف وخبرات وإمكانات وعلاقات لتخليص الوطن من الاحتلال السلالي، والعمل على توحيد صف الأمة اليمنية، ودرء كل عوامل الاختزال والتفرقة، والنضال الجاد لبناء دولة اليمن المستقلة الناهضة.

ومن هذا المنطلق تضع القومية اليمنية مصفوفة أسس ومحددات للتربية والثقافة القومية تتلخص فيما يلي:

- أن تبني مناهج التربية والتعليم على أسس تدعيم الهوية الحضارية للأمة اليمنية وتعزيز الذات اليمنية.
- أن تعزز العمليات التربوية من مكانة اليمن وعظمتها وتقديس الوطن واحترام مقدراته ونفي عوامل الاستلاب والتبعية.
- أن تكون التجربة الحضارية والمعرفية للأمة اليمنية هي الأساس الأولي للمفاهيم العلمية لكل العلوم والمواد الدراسية.
- أن تكيّف التربية كل ما يتعلق بعلوم الإسلام لتعزيز الذات اليمنية والانتماء الوطني وتصحيح ارتباط الإنسان اليمني بربه دون وساطة كهنوتية لسلالة الرجس أو أي ارتباط يسلب الأمة اليمنية مكانتها الرائدة.

- تجريم كل تاريخ الكهنوت السلالي ومصادره ومؤلفاته وتجرير تداولها أو تدريسها للأجيال كونها مسخاً للشخصية اليمنية.
- تجريم التعليم الطائفي والمذهبي ومؤسساته واعتبار التعليم وتربية النشء حقاً حصرياً للدولة القومية اليمنية.
- أن تؤدي عمليات التربية والتعليم إلى تحقيق الاستقلال والتنمية والنهوض بالأمة اليمنية، وأن يكون هدف التعليم تحقيق الإنتاجية والتقدم.
- الناشئة هم ثروة الأمة اليمنية ومصدر قوتها ونهضتها والتعليم حق مكفول لكل أبناء اليمن، ولا يجوز بأي حال من الأحوال أن يظل فرد من أبناء اليمن بدون تعليم أو خبرة معرفية تمكنه من خدمة أمته.

الثقافة القومية

يعني بالثقافة القومية أن تكون الأفكار والممارسات والسلوكيات والعلاقات الاجتماعية وكل ما يتصل بالنشاط الاجتماعي للأمة اليمنية، قائمة على أساس الهوية الحضارية والتراكم المعرفي والثقافي المجسد لروح الأمة وابداعها، وأن تدعم العمليات الثقافية مبدأ الاستقلال القومي والتحرر من السلالة الكهنوتية وخرافاتهما وأفكارهما وميليشياتهما وتاريخهما الإجرامي، وتحقيق مبدأ السيادة الوطنية، وأن تعمل على تنمية الأمة اليمنية وإنجاز نهضتها الشاملة في كل الميادين حتى استعادة أمجادها المنشودة. ولكي تحقق الثقافة القومية لأمتنا اليمنية العظيمة ذلك تضع القومية اليمنية مصفوفة شروط ومحددات ثقافية نجلها فيما يلي:

- احياء التراث الحضاري للأمة اليمنية بكل أشكاله واعتباره أساساً لعمليات التثاقف والتعليم والمعرفة.
- نفي كل الأفكار والخرافات السلالية الوافدة والحجر على كل المؤلفات والمصنفات السلالية والمذهبية التي تستلب الذات اليمنية ومنع تداولها أو طبعها في أرض اليمن الطاهرة.
- احياء العادات والتقاليد والأعراف القومية الحضاري للأمة اليمنية والتخلص من كل القيم والعادات الزائفة التي غزت اليمن عبر السلالة المتوردة وعناصرها الكهنوتية.
- احياء الفن والغناء اليمني التاريخي ووقف كل أشكال الفن السلالي الذي يمجّد عناصر السلالة وينشر أفكارها وخرافاتهما في المجتمع.
- هدم الموروث السلالي المتمثل في الأضرحة والقباب والمزارات والمقدسات السلالية الكهنوتية واعتبارها جرماً يرمز للاحتلال والاستلاب والانحطاط والعار يتوجب محوه وإزالته.
- الحفاظ على التراث والآثار الحضارية للأمة اليمنية، وإقامة متاحف خاصة بها في كل مدينة ومديرية، وتجريم بيعها أو تهريبها، واعتبار من يقوم بذلك خائناً للدين والوطن والأمة يستوجب العقوبة القانونية والعزل الاجتماعي.

الاقتصاد القومي

يعنى بالاقتصاد القومي الفلسفة الاقتصادية والتنمية التي تنتهجها الدولة لتحقيق الاستقلال والتقدم والرفاه للأمة اليمنية، وتقوم الرؤية الاقتصادية للقومية اليمنية أقيال على فلسفة اقتصادية خاصة مستوحاة من روح الأمة اليمنية، تجمع بين ثلاث أسس أو نظريات ونظم اقتصادية، ويمكن تسميتها بالنظرية الاقتصادية الخامسة والتي تقوم على مبدأ المزج بين الاقتصاد الموجه واقتصاد السوق، وهو ما بات يعرف اليوم بالاقتصاد المزدوج، ثم المزج بين الاقتصاد المزدوج والاقتصاد التعاوني التشاركي، وهو الاقتصاد الذي يتيح لكل أبناء الأمة اليمنية أن يكونوا شركاء فاعلين في العمليات الاقتصادية بشكل تعاوني يشركهم في الاستثمار والعمل والإنتاج بحسب القدرة والكفاءة والجهد، فالمواطن اليمني ليس مجرد مستهلك في سوق الاقتصاد القومي بل عامل ماهر وشريك في المصنع والمؤسسة والشركة عبر الاكتتاب التعاوني أو بنسبة من الجهد العملي وتبادل الخدمات والعلاقات الاجتماعية والتنمية.

والاقتصاد القومي بهذه الصفة ثلاثية الأبعاد يجمع بين مسؤولية الدولة القومية في إدارة الاقتصاد واستثمار الموارد القومية في حدها الأقصى لصالح الشعب، ومنع الاستغلال والاحتكار وحماية المستهلك والحفاظ على الثروات السيادية والملكية الوطنية العامة للدولة، وبين سياسة الانفتاح على العالم أو ما بات يعرف باقتصاد السوق وحرية التجارة والملكية، وفق أسس وضوابط تؤكد مسؤولية رأس المال الوطني تجاه الأمة اليمنية ومطالب تنميتها ونهضتها، وتجعل من الأمة اليمنية شريكاً فاعلاً في الاقتصاد والتنمية والاستثمار من خلال إقامة شراكات تعاونية واسعة تجمع بين الدولة ورأس المال والشعب، عبر سياسة الاكتتاب والأسهم أو تبادل الخدمات والمنتجات والمنافع، وذلك للموازنة بين مصالح الفرد والمجتمع، والاقتصاد الوطني والاقتصاديات المنافسة في السوق، وضمان التكامل والمسؤولية بين القطاع العام والخاص في تنمية المجتمع وتطوير وسائل الإنتاج، وتشغيل الطاقات البشرية، وذلك بغية التخلص من أسباب ومظاهر الفقر والبطالة، وتحقيق الاكتفاء الذاتي والوفرة الاقتصادية، مع ضمان تحقق العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروة، وفق مبدأ (كل الأيدي تعمل وكل البطون تشبع).

وترى القومية اليمنية أقيال بأن مشكلة اليمن الاقتصادية تكمن في غياب الرؤية الاقتصادية الواضحة، واستمرار ثقافة الفيد التي زرعتها وغذتها السلالة الإمامية الكهنوتية ونظامها البائد، تجاه موارد الدولة ومقدرات الوطن وثرواته، ومحاوله السلالة الكهنوتية مصادرة وحياسة أكبر قدر من الملكية الخاصة للأراضي

والعقار والثروة للتحكم بمصير الشعب، وتغذية ميليشياتها وحروبها السلالية العنيفة ضد استقرار ونهضة الأمة اليمنية.

ومن زاوية أخرى تبدو ظاهرة الفوضى الإدارية لموارد الدولة ومصارفها ومقدرات الوطن، مظهراً رئيساً من مظاهر المشكلة الاقتصادية، وعائقاً أمام نهضة الاقتصاد الوطني، ولعل أكثر ما يجسد هذه الظاهرة الفوضوية سياسة المقاولات في موارد الضرائب والجمارك والأسواق وسياسة الأسواق المالية والاتجار بالعملة، والتعامل الشعبي بالعملة الأجنبية شراءً وبيعاً بما يدمر قيمة العملة الوطنية وغير ذلك من مظاهر الفوضى واختلال النظام الاقتصادي والمالي.

ولبناء اقتصاد قومي متين يحقق للأمة اليمنية كرامتها وتقدمها تضع القومية اليمنية أقبال مصفوفة شروط ومحددات اقتصادية ومالية تلخص فيما يلي:

- تشجع الدولة القومية الاقتصاد الحر والانفتاح على العالم، وتحتفظ باقتصاد الخدمات الأساسية والموارد السيادية للبلد، وتنشأ شراكة اقتصادية بين الدولة والقطاع الخاص والشعب في كل القطاعات السيادية.

- الثروات الطبيعية بجميع أنواعها ومصادر الطاقة الموجودة في باطن الأرض أو فوقها أو في المياه الداخلية، أو في البحر الإقليمي أو المنطقة الاقتصادية الخالصة، أو في الجرف القاري، والآثار والمكتشفات ملك للدولة القومية، وهي التي تكفل استغلالها للمصلحة العامة، على أن توزع وارداتها بشكل عادل ومنصف في جميع أنحاء البلد.

- تجرم الدولة القومية أي مساس بالمال العام والثروات العامة والسيادية للبلد وأراضي الدولة والأوقاف والآثار وكل ما هو من أموال الدولة والشعب، وتعاقب بأشد العقوبات كل من يمس الثروات أو المال العام مهما كانت حجة سرقته.

- تجرم الدولة القومية كل أشكال القبالات التقليدية في الموارد العامة من ضرائب وجمارك وأسواق وزكوات وغيرها، وتعتمد منهجية علمية في تحصيل الموارد تحقق الشفافية وتتهي العبت بموارد الدولة وحقوق الشعب.

- تلتزم الدولة القومية بنظام الحكومة الإلكترونية الشاملة في كل ما يتصل بالموارد والتعاملات المالية الرسمية والشعبية مع المواطنين، وتتوقف عن كل أشكال النظم المالية التقليدية الورقية والإلكترونية.

- ترتبط كل إيرادات الدولة ونفقاتها السنوية بنظام محاسبي شفاف مرتبط بالمالية والجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة ورئاسة الجمهورية، بحيث يظهر كل ريال وارد وكل ريال منصرف في النظام بشكل سلس لمنع أي فساد أو محسوبية.

- أي شخص مهما كانت مرتبته السياسية أو الوظيفية يثبت اختلاسه للمال العام يعاقب بثلاث عقوبات أولها الابعاد من المنصب وثانيها العقوبة المقررة قانوناً وثالثها الالتزام بإعادة توريد ما سرق أو اختلس من المال العام.
- تسهل الدولة لكل المواطنين التعاملات المالية عبر الشبكات الإلكترونية المرتبطة بعمليات البنك المركزي والبنوك الفرعية، وترتبط جميع خدمات المواطنين وتعاملاتهم بأرقامهم الوطنية بشكل نهائي.
- تمنع الدولة القومية المضاربة بالعملة الوطنية خارج إطار البنك المركزي، وبشكل محدد، بحيث لا يؤثر في قيمة العملة الوطنية، ويمنع منعاً باتاً التعاملات في الأسواق اليمينية بغير العملة المحلية.

قائمة المصادر والمراجع

- ١- ابن الأثير، الكامل، موقعة صفين، ج ٣.
- ٢- ابن الجعدي، ابن سمرة، طبقات فقهاء اليمن.
- ٣- ابن حبان: السيرة النبوية ١.
- ٤- ابن خلدون العبر ودويان المبتدأ والخبر، ج ٢.
- ٥- ابن عساكر، تهذيب الكمال ج ٤.
- ٦- ابن كثير: البداية والنهاية ٣، والسيرة النبوية ٢.
- ٧- ابن هشام: السيرة النبوية ١.
- ٨- الأحمدي، ثابت، الهادوية عقيدة دينية أم عقدة نفسية.
- ٩- الأحمدي، ثابت، ماذا يعني انتمائي لليمن
- ١٠- إدجار أوبلانس، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ترجمة وتحقيق عبد الخالق لاشيد، مكتبة مدبولي.
- ١١- الارياني، عبدالرحمن، مذكرات القاضي عبد الرحمن الإرياني،
- ١٢- اسمهان الجرو، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، ٢٠٠٣م،
- ١٣- آلان تيسنار، قبل التاريخ تطور المجتمعات الإنسانية، غاليمار، ط باريس - ٢٠١٢م.
- ١٤- امين سعيد، الثورة العربية الكبرى في ربع قرن، ج ١، مكتبة مدبولي، بدون تاريخ
- ١٥- اندرسون، الجماعات المتخيلة تأملات في نشأة القومية، أصول الوعي القومي.
- ١٦- انظر لسان العرب لابن منظور.
- ١٧- أوبلانس، إدجار، اليمن الثورة والحرب حتى عام ١٩٧٠م، ترجمة وتحقيق عبد الخالق لاشيد
- ١٨- أموت أوزكير يملي، نظريات القومية، ط ١، القاهرة.
- ١٩- بافقيه، في العربية السعيدة.
- ٢٠- بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم
- ٢١- بدوي، عبد الرحمن، فلسفة هيجل، ٥٧٩.
- ٢٢- البردوني، عبدالله، اليمن الثقافة والثورة، الأستاذ عبد الله البردوني
- ٢٣- البكالي الناموس القومي ، كتاب بصيغة بيدي إف
- ٢٤- البكالي، العقيدة القومية ج ١ وج ٢ كتاب بصيغة بيدي إف.
- ٢٥- البكالي، علي قاسم، اليمن الهوية والحضارة ،

- ٢٦- البكالي، علي، الأيديولوجية السياسية، الجزء ٢، ط ١، مؤسسة أروقة ٢٠٢٢ م.
- ٢٧- البكالي، علي، الذات الوطنية، ط ١، مؤسسة أروقة ٢٠١٩ م
- ٢٨- البكالي، علي، العقيدة القومية ج ١، ط ١ ٢٠٢١، مؤسسة بمان للدراسات بيدي إف.
- ٢٩- البكالي، علي، الهادوية والحوثية نظرية الهدم من الداخل.
- ٣٠- البكالي، علي، فلسفة الدولة صعوداً وانحياراً وبعثاً، ط ١ ٢٠٢١، مؤسسة بمان للدراسات، بيدي إف.
- ٣١- تعريف ومعنى قومية في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي
- ٣٢- توماس آر فلين، الوجودية مقدمة قصيرة، مؤسسة هنداي ٢٠١٣ م.
- ٣٣- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل السياسي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٤ م.
- ٣٤- جمال حمدان، شخصية مصر، ط القاهرة مدبولي ١٩٩٠ م.
- ٣٥- جواد علي، المفصل ج ١،
- ٣٦- جيرمي فريدمان، الحرب الصينية السوفيتية الباردة صراع على قيادة الثورة، ناشر: جامعة نورث كارولينا، نيويورك، ٢٠١٦.
- ٣٧- ديفيد ماكرون علم اجتماع القومية، ط ١.
- ٣٨- الذهبي: تاريخ الإسلام ١.
- ٣٩- الرازي، تاريخ مدينة صنعاء.
- ٤٠- الرافي، عبد الرحمن، تاريخ الحركة القومية في مصر القديمة منذ فجر التاريخ.
- ٤١- الزيري، محمد محمود الإمامة وخطرها على مستقبل اليمن
- ٤٢- زيد، علي محمد زيد، معتزلة اليمن.
- ٤٣- سيترابون، الجغرافيا، الكتاب السادس عشر الفصل الرابع ٢٢، ترجمة ميخائيل حسان، ج ٢، دراء رسلان، ٢٠١٧ م
- ٤٤- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء قصة مقتل الخليفة عثمان بن عفان.
- ٤٥- الشماحي، عبدالله، اليمن الإنسان والحضارة ج ١ وج ٢.
- ٤٦- الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ١٥٧.
- ٤٧- الطبري: تاريخ الرسل والملوك ٢.
- ٤٨- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج ٢.
- ٤٩- طه حسين، في الشعر الجاهلي
- ٥٠- عباد، علي مراد، القومية والأمة مدخل إلى الفكر السياسي القومي، ط ١، القاهرة.

- ٥١- العلوي، محمد بن علي، سيرة يحيى الرسي، المجلس الزيدي، بيدي إف.
- ٥٢- غوستاف لوبون، الأسس النفسية لنهضة الأمم.
- ٥٣- الفرخ، الجديد في تاريخ سبأ وحمير، ج٢، صنعاء وزارة الثقافة ٢٠٠٤م.
- ٥٤- الفرخ، اليمن في تاريخ ابن خلدون.
- ٥٥- الفرخ، محمد حسين، الجديد في تاريخ سبأ وحمير ج١ وج٢.
- ٥٦- فروم، أريك، مفهوم الانسان عند ماركس، ترجمة سيد رصاص، ط١، دمشق، دار الحصاد
- ٥٧- قاسم غني تاريخ تصوف در إسلام، أي تاريخ التصوف في الإسلام.
- ٥٨- القاضي الشماحي، عبدالله المجاهد، اليمن الإنسان والحضارة
- ٥٩- القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب
- ٦٠- ماركس، رأس المال ج٢.
- ٦١- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ط٤، دار الفكر بيروت ٢٠٠٢م.
- ٦٢- الماوردي، الأحكام السلطانية .
- ٦٣- مجد الدين المؤيدي، الولاية وأئمة آل البيت.
- ٦٤- محمد الولص بجيبج وعدد من الباحثين، طباعة، مركز البحر الأحمر للدراسات، جرائم إيران في اليمن، ج١ و ج٢، ط١، ٢٠٢٢م.
- ٦٥- محمد عمارة، الاستقلال الحضاري، ط ١٩٩٠
- ٦٦- مختصر كتاب الروض الانف الباسم في السيرة النبوية الشريفة
- ٦٧- مذكرات القاضي الإرياني، الجزء الثالث، ط١، القاهرة.
- ٦٨- المسعودي، مروج الذهب، ج٢
- ٦٩- نشوان الحميري السيرة الجامعة، ص٢١.
- ٧٠- نفسه، اليمن في تاريخ ابن خلدون.
- ٧١- هانزكون، فكرة القومية، راسة عن أصول النزعة القومية وخلفياتها، ترانسكشن بوبليشير ط نيويورك.
- ٧٢- الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق الأكوع، طبعة مكتبة الارشاد صنعاء ١٩٩٠م
- ٧٣- الولص، محمد بجيبج وآخرون، جرائم إيران في اليمن
- ٧٤- وليامز رايموند، الثقافة والمجتمع.
- ٧٥- يحيى شامي (٢٠٠٥)، موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الفكر العربي.

1- Suchting, W. A. Marx and Philosophy: Three Studies. Macmillan, 1986 -

2-Tariq ibn Ziyad", britannica, Retrieved 30/5/2021. Edited

3- What Is Cultural Appropriation?", verywellmind, Retrieved 24/1/2022.

Edited

المراجع الإنجليزية

المجلات العلمية المحكمة

- ١- حسين العسني، تعيين معن بن زائدة والياً على اليمن الأسباب والنتائج، مجلة دراسات محكمة، عدد ٥٣، ٢٠٢١م.
- ٢- عبد المنعم عبد الحليم سيد، هل يشير نقش ابرهة الحبشي عند بئر مريغان إلى حملة الفيل، مجلة جامعة الملك عبدالعزيز آل سعود، الآداب والعلوم الإنسانية ٢٠٠١.
- ٣- نقش ابرهة المدون على مدخل سد مأرب يذكر نفسه وابنه أكسوم بن ابرهة بن الصباح آل ذي معاهر، وهذا يعني أن ابرهة اعترف بأصله اليمني وأنه ممن هاجر آباؤه إلى الحبشة، انظر نقش ابرهة ٥٤١ سي أي اتش.

المواقع الصحفية

- ١- <https://manshoor.com/politics-and-economics/nationalism-meaning-and-evolving>
- ٢- الاستلاب والتطور الطبيعي للحضارة... منظور ثقافي، صحيفة القدس العربي، ١٣ سبتمبر ٢٠١٧. رامي ابو شهاب.
- ٣- خالد فارس، الاستلاب المعرفي عند ماركس وهيجل، <https://hadfnews.ps/post/101355/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8-alienation-%D8%B9%D9%86%D8%AF-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3#:~:text=%D8%A3%D8%B1%D8%A7%D8%AF%20%D9%87%D9%8A%D8%AC%D9%84%20%D8%A3%D9%86%20%D9%8A%D9%82%D9%88%D9%84%20%D8%A5%D9%86%D9%91%20%D8%AF%D9%88%D8%B1%20%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%88%D9%84%D8%A9%20%D8%B6%D8%B1%D9%88%D8%B1%D9%8A%D9%91%D9%8C%D8%8C,%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%87%20%D8%B9%D9%84%D9%89%20%D8%A3%D8%B3%D8%A7%D8%B3%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%82%D9%84%D8%A7%D9%86%D9%8A%D9%91%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%8A%20%D8%AA%D8%AA%D9%86%D8%A7%D8%AA%D8%AC%20%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%84%D8%A7%D8%A8>

- ذات حاميم في النقوش اليمنية، تعني صاحب الشمس أو خالق الشمس أو رب الشمس، انظر ، وكان للشمس أوصاف متعددة عند قدماء اليمنيين فبينما يطلق عليها السبعيون (حاميم) يطلق عليها المعينيون (نكرج)، وكان يرمز للشمس إما برمز النسر للدلالة على القوة والهيمنة

والسطوع، أو الفرس للدلالة على السرعة، ولم يطلق اليمينيون عليها لفظ شمس إلا في العهد الحميري المتأخر قبل الإسلام .

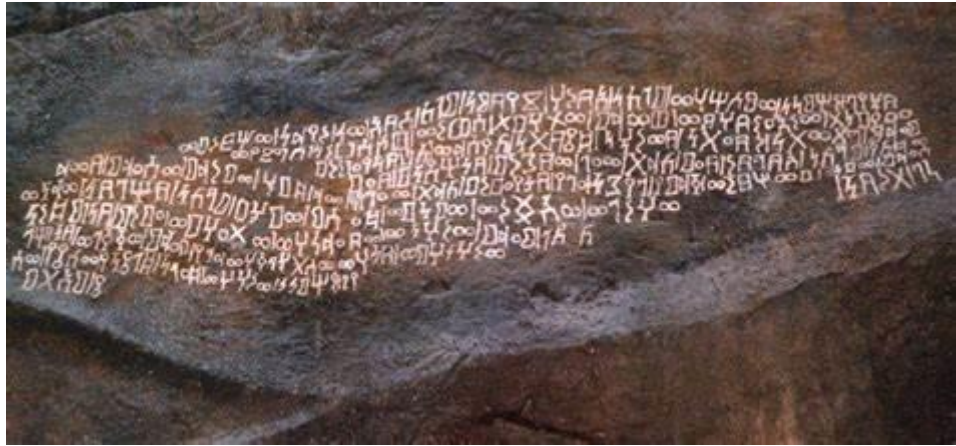
- ٤- رياض الغيلي، التنظيم السري للهاشمية السياسية، حلقات بحثية منشورة في موقع مآرب برس وعدد من المواقع الصحفية
- ٥- محمد رمضان، القومية، أو: كيف تتكون الجماعات المتخيلة؟

الملاحق

لوحة مسندية من مكتبة مكونة من ٤٤٠ لوحة مسندية في معبد آوام بمأرب تبدأ بالحرف نون وهي توضح مرحلة ابتكار النظم المعرفي المسمى (ن) كأول لغة علمية للكتابة وتدوين العلوم في حضارة التبابعة، وهو الاكتشاف المعرفي الأكبر في تاريخ البشرية القديمة لا يساويه سوى ثورة المعلوماتية في عصرنا، وهو الذي أقسم الله به في سورة القلم.



نقش ابرهة الحبشي في بئر ريغان عسير وهو يؤكد أن غزوات ابرهة لا صلة لها بقصة الاخباريين في
تفسير سورة الفيل كما أوردنا في الكتاب



نقش نصب عدوليس ورحلة الملك الصعب ذي القرنين بن ذي مرثد باللغة اليونانية القديمة

1. 60. ... μετ' & ἀνθραϊώσας τὰ μὲν ἑγγίοντα τοῦ βασιλείου
ἔθνη εἰρηνεύουσαι καλεῖσας, ἐπολέμησα καὶ ὑπέταξα μάχαις
τὰ ὑπογεγραμμένα ἔθνη· Γάζη ἔθνος ἐπολέμησα, ἔπειτα
4. Λγαμε καὶ Σιγδῆνε νικῆσας τῆν ἡμέλειαν πάντων τῶν παρ'
αὐτοῖς καὶ αὐτῶν ἐμαρισάμην. Λθα καὶ Υἱνγαβηνὴ καὶ Ἄγγαβη
καὶ Τιάμα καὶ Ἄθαγαοὺς καὶ Καλαὰ καὶ Λαμηῆνε ἔθνος πέραν
τοῦ Νεῖλου ἐν δυσβάτοις καὶ χιονώδεσι ὄρεσιν οἰκοῦντας,
8. ἐν οἷς διὰ παντός νηφοτοὶ καὶ κρήναι καὶ χιόνες βαθεῖαι,
ὡς μέχρι γονάτων καταδύειν τὸν ἄνδρα, τὸν ποταμὸν διαβάς
ὑπέταξα, ἔπειτα Λασινὴ καὶ Ζαὰ καὶ Γαβαλά οἰκοῦντας παρ'
ὄρει θερμῶν ὕδατων βλύουσι καὶ καταρρύττει. Ἄταμῶ καὶ
12. Βεγά καὶ τὰ σὺν αὐτοῖς ἔθνη πάντα Ἰαγγαῖτων, τὰ μέχρι τῶν
τῆς Λιγύπτου ὄριων οἰκοῦντα, ὑποτάξας περὶεῖσαι ἐποίησα
τὴν ὁδὸν ἀπὸ τῶν τῆς ἐμῆς βασιλείας τόπων μέχρι Λιγύπτου,
ἔπειτα Ἀνήνε καὶ Μετίνε ἐν ἀποκρήμνοις οἰκοῦντας ὄρει.
16. 61. Σεσία ἔθνος ἐπολέμησα, οὗς καὶ μέγιστον καὶ δυσβα-
τώτατον ὄρος ἀνελθόντας περιφρουρήσας κατήγαγον, καὶ
ἀπελεξάμην ἐμαρῶν· τοὺς τε νέους αὐτῶν καὶ γυναῖκας καὶ
παῖδας καὶ παρθένους καὶ πᾶσαν τὴν ὑπάρχουσαν αὐτοῖς
20. κτήσιν. Γαυσῶ ἔθνη μεσόγεια λιβανωτοφόρων βαρβάρων
οἰκοῦντα ἐντὸς πεδίων μεγάλων ἀνδρῶν, καὶ Σολάτε ἔθνος
ὑπέταξα, οἷς καὶ τοὺς αἰγιαλοὺς τῆς Θαλάσσης φυλάσσειν
ἐκέλευσα. 62. Ταῦτα δὲ πάντα τὰ ἔθνη ὄρεισι ἰσχυροῖς
24. πεφρουρημένα αὐτὸς ἐγὼ ἐν ταῖς μάχαις παρὼν νικῆσας καὶ
ὑποτάξας, ἐχαρισάμην αὐτοῖς πάσας τὰς χώρας ἐπὶ φόροις.
Ἄλλα δὲ πλεῖστα ἔθνη ἐκόντα ὑπετάγη μοι ἐπὶ φόροις. Καὶ
πέραν δὲ τῆς Ἰερυβρῆς Θαλάσσης οἰκοῦντας Ἀραβίτας καὶ
28. Κιναιδοκολπίτας, στρατεύματα ναυτικὸν καὶ πεζικὸν διαπεμψά-
μενος, καὶ ὑποτάξας αὐτῶν τοὺς βασιλέας, φόρους τῆς γῆς
τελεῖν ἐκέλευσα καὶ ὀδεύεσθαι μετ' εἰρήνης καὶ πλεεσθαι, ἀπὸ
τε Λευκῆς κόμης ἕως τῶν Σαβαίων χώρας ἐπολέμησα.
32. 63. Πάντα δὲ ταῦτα τὰ ἔθνη πρῶτος καὶ μόνος βασιλέων τῶν
παρ' ἐμοῦ ὑπέταξα, δι' ἣν ἔχω πρὸς τὸν μέγιστον Θεὸν μου
Ἄρην εὐχαριστίαν, ὅς με καὶ ἐγέννησε, δι' οὗ πάντα τὰ ἔθνη
τὰ ὁμοροῦντα τῇ ἐμῇ γῇ ἀπὸ μὲν ἀνατολῆς μέχρι τῆς λιβανω-
36. τήρου, ἀπὸ δὲ ὄψεως μέχρι τῶν τῆς Λιβυοπίας καὶ Σιάσου
τόπων, ὑπ' ἐμαυτὸν ἐποίησα, & μὲν αὐτὸς ἐγὼ ἐλθὼν καὶ
νικήσας, & δὲ διαπεμπόμενος, καὶ ἐν εἰρήνῃ καταστήσας
πάντα τὸν ὑπ' ἐμοῦ κόσμον κατήλθον εἰς τὴν Ἄδουλι τῷ Διὶ
40. καὶ τῷ Ἄρει καὶ τῷ Προσηθῶν Θεοῖσιν ὡς πρὸς τῶν πλεεσο-
μένων· ἀπορίσας δὲ μου τὰ στρατεύματα καὶ ἀφ' ἧν ποιήσας,
ἐπὶ τούτῳ τῷ τόπῳ κάθισας τότε τὸν δίφρον παραθήμην τῷ
Ἄρει ἐποίησα ἔτι τῆς ἐμῆς βασιλείας εἰκοστῷ ἔβδῳ μῶ.

ترجمة النقش من اليونانية نقلاً عن المؤرخ اليمني هايل اليوبي

٢/١ قد جمعت الجيوش من جميع انحاء مملكتي واستخلفت الملوك والأقبال في ادارة شؤونهم منفذ

لأمر إلهي.

٤/٣ وقد حذرت وجمعت جميع الملوك حول مملكتي وأمرتهم بالسلام وأن لا يثيروا غضبي ونقمتي عليهم حين عودتي، وقد انطلقت من أرضي إلى الجهة الأخرى من البحر، وحاربت وهزمت شعوب الشعب (Gaze) الجعزي، والشعب العجمي (Agam) ثم شعب (sign).

٦/٥ وبعد هزيمتهم وأخذ نصف ما يملكون عبرت النهر وهزمت شعب زكرين (zigrni) ثم شعب الغافا (alive) ثم شعب (Kala) ثم شعب التاجو (Althgus).

٨/٧ ثم حاربت وهزمت شعب (Smile) وهم شعب يعيشون في الجانب الثاني من البحر في جبال موحشة وكاد جيشي يغرقون في الثلوج.

١٠/٩ حيث كان الثلج يغطي كل مكان وكان الناس يغرقون فيه حتى ركبهم، وبعد ذلك هزمت شعب الأسيان (Latin) ثم شعب الهند شعب (Zea)، ثم هزمت القافالا (Gavala)، وهم شعب في جبال شاهقه حيث تتدفق المياه الساخنة.

١٢/١١ ثم توجهت أنا وجيوشي وهزمت شعب البيجي (Babe) ثم التمايو (Altmaio)،

ثم

١٤/١٣ ثم هزمت شعب التجيتاي (Tggtay)، وجميع الشعوب التي في تلك البلدان .

١٦/١٥ ثم أمرت جيوشي وركبنا البحر قاصدين بلادتي ومملكتي وبعد وصولنا شواطئ بلادتي قررت أن نتجه نحو مصر، وهزمتنا من كان قد تمرد، ثم اتجهنا وحاربنا شعب انانا Annin ثم هزمت شعب المتني (Marni) الذي يعيش في جبال منحدره بشدة.

١٨/١٧ ثم حاربت وهزمت شعب ساسو Saso وقد هربوا إلى جبل منيع فقامت بحصارهم وبعد استسلامهم، توجهت وحاربت الشعب.

٢٠/١٩

Rusia هزمت شعب روسي الذي يعيش في سهول شاسعة

٢٢/٢١ ثم اخضعت وهزمت شعب السوليت solit وأمرتهم أن يجرسوا مضائق البحر

٢٤/٢٣ ثم توجهت لحرب الشعوب الذين هربوا إلى الجبال وأخضعتهم بنفسني وقد فرضت عليهم

أحكامي.

٢٦/٢٥ وكثير من تلك الشعوب قد استسلموا بأنفسهم وقد أمرت جيوشي في كل تلك الحروب اعطاء الناس حقوقهم وممتلكاتهم بعد اطاعتهم وخضوعهم لي.

٢٨/٢٧ ثم قررت العودة إلى مملكتي فاخبروني أن الشعوب التي في حدود مملكتي شعوب الكاندوكالتاي قد تمردوا، فأمرت بإرسال قوة بحرية واتجهت برا وادبنا كل من تمرد ثم بعد وصولي إلى لوكي كومي **Luke,lime** وبعد اخضاع جميع الشعوب والبلدان عدت إلى مملكتي سبأ (Shana).

٣٠/٢٩ وقد أنجزت كل تلك المنجزات التي لم يسبقني أحد من قبلي بعون ورضى ربي (هوبس) وجميع تلك الحروب التي.

٣٢/٣١ اشتركت بها بنفسي أو وجهت الجيوش إليها شرقا وغربا ابتداءً من الأراضي المتاخمة

٣٤/٣٢ لبلدي في الطرف الآخر من البحر شعوب **Ethiopia** وشعب ساسو (**saso**)

٣٦/٣٥ وبعد تلك الحروب التي أطعت بها ربي وكل المعارك الذي شاركت فيها أو وجهت جيوشي إليها أمرت بنصب هذا المسند من أول مكان وصلت إليه جيوشي في تلك الحروب الطويلة التي استمرت ٢٧ عاماً من حكمي وأخضعت جميع تلك الشعوب ارضاء لربي (هوبس).

نقل النقش وترجمه القيل هايل النوبي عن كتاب الطبوغرافيا المسيحية **Chustion**

(1909) pp72/73 **Topgraphy of cosans cambrbag**

بتاريخ ٢٠٢١/٧/٥